بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم القرى
كلية التربية - بمكة المكرمة
الدراسات العليا

نموذج رقم (٨) (*)

اجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد اجراء التعديلات المطلوبة

الاسم رباعي : معيوض عوض حميد العصيمي   القسم : التربية الاسلامية والمقارنة
الدرجة العلمية : ماجستير في التربية الاسلامية والمقارنة   التخصص : تربية اسلامية
عنوان الأطروحة : آداب المعلم والمتعلم عند الامام العلموي ٠

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،،،

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة عاليه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤١١/١٢/٢٧ هـ بقبول الأطروحة بعد اجراء التعديلات وحيث قد تم عمل اللازم ٠

فان اللجنة توصي بأجازة الأطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه والله الموفق ٠

أعضاء اللجنة

المشرف	مناقش من القسم	مناقش من خارج القسم
الاسم : د٠ عنتر لطفي محمد	الاسم : د٠ ماجد عرسان الكيلاني	الاسم : د٠محمد أحمد المنشي
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

رئيس قسم التربية الاسلامية والمقارنة

د٠ محمود محمد عبد الله كسناوي

(*) يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة



آداب المعلم والمتعلم عند الإمام العلموي

من خلال كتابه (المعيد في أدب المفيد والمستفيد)

دراسة تحليلية نقدية

إعداد الطالب
معيوض عوض حميد العصيمي
إشراف الدكتور
عنتر لطفي محمد

دراسة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير
في التربية الإسلامية

الفصل الدراسي الثاني

١٤١١ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

اسم الباحث : معيوض عوض حميد العصيمي
عنوان الدراسة : **آداب المعلم والمتعلم عند الامام العلموي من خلال كتابه " المعيد في أدب المفيد والمستفيد "**

تهدف هذه الدراسة على التعرف على الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها كل من المعلم والمتعلم عند العلموي ومكانتها عند العلماء المسلمين الذين لهم اهتمام بكل من المعلم والمتعلم هذا وقد تضمنت هذه الدراسة **خمسة فصول** شملت ـ التعريف بالعلموي وعصره وما صحب ذلك من حروب وفتوحات وفتن وحالة البلاد الاجتماعية والعلمية والفكرية ـ آداب المعلم في نفسه وفي معاملته لتلاميذه وفي أدائه لدرسه ـ آداب المتعلم وفي تعامله مع معلمه ومع درسه ـ آداب مشتركة بينهما ـ القواعد والآداب المبتغاه لمهنة التعليم في ضوء آراء الامام العلموي وغيره من علماء المسلمين وتم التوصل الى عدة نتائج أهمها مايلي :

(١) أهمية الآداب التي يجب أن يتحلى بها المعلم والمتعلم في نجاح العملية التعليمية .
(٢) أن ماذكر في وقتنا الحاضر من معايير لمهنة التعليم فانها تكاد تتفق مع ماذكره العلموي وغيره من علماء المسلمين . وهذا يؤكد أصالة الفكر الاسلامي .
(٣) أن تلك الآداب يمكن اتخاذها قواعد لمهنة التعليم في العصر الحاضر والتي يمكن في ضوئها اعادة النظر في برامج مؤسسات اعداد المعلم .

وعلى ضوء هذه النتائج قدم الباحث عددا من التوصيات كان من أهمها :
(١) اتخاذ الآداب التي وجه اليها العلموي قواعدا لمهنة التعليم لأصالتها في الفكر الاسلامي .
(٢) يمكن للجهات المسئولة عن تقويم المعلم اتخاذ تلك الآداب معاييرلتقويم أداء المعلم في الوقت الحاضر .
(٣) على الباحثين في مجال التربية الاسلامية محاولة الوصول الى نظرية شاملة في أخلاقيات العملية التربوية مستمدة من الفكر الاسلامي الأصيل .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،،

الطالب	**المشرف**	**عميد كلية التربية**
الاسم : **معيوض عوض حميد العصيمي**	الاسم : د. **عنتر لطفي محمد**	الاسم : د. **هاشم بكر حريري**
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

الإهداء

الى والدي ووالدتي

الى جميع أفراد اسرتي .

الى جميع الإخوة والأصدقاء

اهدي هذا الجهد المتواضع سائلاً

المولى عز وجل لنا ولهم التوفيق

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد ،،،

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير الى جامعة أم القرى ممثلة في مديرها معالي الدكتور / **راشد الراجح** ، وعميد كلية التربية سعادة الدكتور / **هاشم بكر حريري** ، ورئيس قسم التربية الاسلامية والمقارنة سعادة الدكتور / **محمود محمد كسناوي** . الذين يبذلون قصارى جهودهم لخدمة العلم وأهله ، فجزاهم الله عن ذلك خيرا .

كما أتقدم بجزيل الشكر لكل من ساهم معي في اخراج هذه الدراسة ، وأخص بالشكر :

* سعادة الدكتور / **عنتر لطفي محمد** لتكرمه بالاشراف على هذه الدراسة فقد كان خير مرشد لي في كل مراحل واعداد هذه الدراسة فجزاه الله عني خير الجزاء .
* سعادة الدكتور / **محروس مرسي** ، وسعادة الدكتور/**عبداللطيف محمد بالطو** اللذين أسهما في بلورة الخطة الأولى لهذا البحث فجزاهم الله خيرا .
* سعادة الدكتور / **ماجد عرسان الكيلاني** ، وسعادة الدكتور/ **محمد أحمد المنشي** أعضاء المناقشة على توجيهاتهما الكريمة التي أسهمت في بلورة الصورة النهائية لهذه الرسالة فجزاهم الله خيرا .

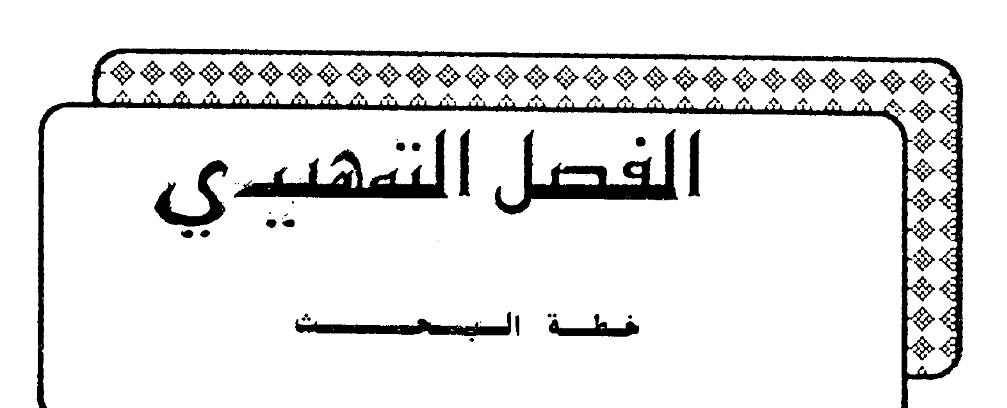
وأسأل الله أن يكون عملنا خالصا لوجهه الكريم انه ولي ذلك والقادر عليه .

الباحث

قائمة المحتويات

ثانيا : الآداب والقواعد الأخلاقية :

ثالثا : القواعد الصحية والجسمية :



ويشمل هذا الفصل على : ـ

- مقدمة .
- أهمية البحث .
- مشكلة الدراسة .
- تساؤلات البحث .
- أهداف البحث .
- منهج البحث .
- الدراسات السابقة .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آلـه وصحبه وسلم ..

للتربية دور مهم في حياة الفرد والمجتمع وذلك لأن التربية هي تنمية فكر الانسان ، وتنظيم سلوكه ، وعواطفه على أساس الدين الاسلامي وبقصد تحقيق أهداف الاسلام في حياة الفرد والجماعة ، أي في كل مجالات الحياة.
(النحلاوي ،١٣٩٩هـ ، ص ٢٦)

وذكر آخرون أنها " اعداد المسلم اعدادا كاملا من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي جاء بها الاسلام " (يالجن ،١٤٠٦هـ ، ص ٢٦).

ولذلك أصبحت العملية التربوية أو ما يمكن تسميته بتربية الأفراد تشغل حيزا كبيرا من الأهمية في كل الأزمنة والعصور وفي الوقت الحاضر تعد العملية التربوية (**التعليمية**) هي الأساس في تقدم الشعوب وبناء الحضارات . وقد نادى بذلك عدد من رواد الفكر في مختلف البلدان .

والعملية التربوية تتم بواسطة مؤسسات اجتماعية عدة منها الأسرة ، والمدرسة وغيرها ولقد أصبح للمدرسة الدور البارز في العملية التعليمية والتي من مكوناتها في هذا المجال المعلم والمتعلم والمادة العلمية والوسيلة التي تقدم بواسطتها هذه المادة العلمية .

والمعلم هو العنصر الرئيسي في العملية التعليمية في المدرسة . حيث أن دوره هام في توجيه الأجيال والمقبلة الى طريق الخير والصلاح والرقي بها الى درجات الحضارة والتقدم . ومن هنا فانه قد يكون هو مفتاح العملية التعليمية وأساسها وعليه يقع نجاحها وفشلها.

ويذكر ملايحي (١٤٠٧ هـ) " أن وجود المعلم الرباني الصالح يعد أمرا أساسيا في العملية التربوية والتعليمية عند الغزالي لما له من آثار هامة لايمكن الاستغناء عنه فهو المصدر الأساسي الذي يستمد منه التلميذ معلوماته وهو القدوة التي تقوم بغرس العادات الصحيحة في تلاميذه" (ص١٥٧).

كما أن الذي يمكن أن يقوم بهذا الدور لابد أن يتصف بالصبر والصراحة وقول الحق . وغير ذلك من الصفات الشخصية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والعقلية ، والمعرفية ، والمهنية . والى ذلك أشار بلوس (١٤٠٣هـ) حيث ذكر أن اتصاف المعلم بتلك الصفات يؤدي الى تحقيق مايلي :

" (١) ينمي عند التلميذ الايمان الكامل بالله الواحد الخالق لكل شيء .

(٢) يحصل التلميذ على كل ألوان المعرفة وطرق التفاهم التي تمكنه من التفكير وإنماء روح البحث والتقصي حتى يكتشف قوانين الإله الخالق التي تعمل في الكون .

(٣) أن يدفع دفعا إلى إستخدام المعرفة والمهارات وأساليب التفاهم ليطور نفسه ومجتمعه " (ص ٢٣).

أما المتعلم فهو ذلك المخلوق الذي ولد في أتم العجز وجاهلا بكل شيء قال تعالى ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾ (النحل : ٧٨).

وكما أن الله عز وجل مَنّ عليه بعدد من المواهب والإستعدادات الفطرية التي هي في أمس الحاجة إلى موجه ومربي يساعده في تكوين نموه وشخصيته . ومن الصفات التي يجب أن يتصف بها طالب العلم مراعاة حقوق الله في جميع الأمور والآداب الاسلامية التي تساعده على التعامل مع معلمه في مختلف الأوقات .

كما يجب عليه أن يتصف بمهارات المناظرة والمناقشة وحسن السؤال،وعدم الاقتصار على حفظ المعلومات وقد أشار ابن خلدون (١٩٨٦م) بقوله

" ... مفسر عليهم حصول الملكة والحذق في العلوم وأيسر طرق هذه الملكة . فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي قرب شأنها ويحصل مرامها ... " ص ٢٧٤ . وهذا يعني أن هناك آداب يجب أن يتحلى بها كل من المعلم والمتعلم لتسهيل العملية التربوية وتحقيق الأغراض المرجوة والنهوض بمستوى التربية الاسلامية . وهذه الآداب قد تم رصدها من قبل المفكرين المسلمين وأصبح واجبا علينا البحث عن تلك الكتب ومحاولة إستخلاصها ورصدها ليتم الاستفادة منها .

أهمية البحث :

تمثل الآداب التربوية لكل من المعلم والمتعلم في الحياة التعليمية جانبا هاما في حياة المجتمع التعليمي . فالمعلم قد يكون هو صاحب الدور الأساسي في العمل التعليمي ونظرا لأهميته كمدخل من مدخلات النظام التعليمي فهو يهدي الأجيال الحالية والمقبلة إلى طريق الخير والصلاح ويبث فيهم المبادئ الدينية ، والخلقية ، والاجتماعية ، والوطنية وينشر بينهم العلم والمعرفة ويدفع بأمته الى درجات الحضارة والتقدم .

والمتعلم قد منّ الله عليه بعدد من المواهب والاستعدادات الفطرية والتي هي في أمس الحاجة الى معلم ومرب ينميها ويرقى بها الى درجات الخير والفلاح . لذا فانه لابد من أن تكون صلته بمن أرشده وعلمه ونصحه صلة قوية منبعها عناية الاسلام بالعلم والعلماء وتعظيم حقهما .

كما أن المعلم أكثر أعضاء المدرسة إحتكاكا بالمتعلم وأكثرهم تفاعلا معه . ومن خلال هذا الاحتكاك والتفاعل يتم التأثير في النشئ سلبا وإيجابا، وهو أيضا بذلك قدوة لهم يرون أن كل مايقوم به الصواب ، فيحاولون الاقتداء به .

وعليه تتضح **أهمية البحث** في :

* أن توضيح تلك الآداب يبصر المعلم بما ينبغي أن يفعله .

* يجعل المتعلمين أكثر فهما بما يجبوا أن يكونوا عليه ٠
* يرسم للقائمين على إعداد المعلم نمط شخصية المعلم المبتغاه والسير في طريقها ٠
* يرسم للقائمين على توجيه وإرشاد المتعلم أخلاقيات المتعلم المرغوب فيها وتعديل سلوكه وفق هذه الصفات ٠

وحيث أنه قد كان لمفكري المسلمين عناية خاصة باعداد المعلم واختياره وفق صفات معينة وتوجيه المتعلم وفق صفات معينة أيضا ٠ أصبح من الضروري البحث عنها والاستفادة من فكر أصحابها ٠

ويعد **الشيخ العلموي** أحد رواد الفكر الاسلامي خلال القرن العاشر٠ ونظرا لما يحتويه كتابه (**المعيد في أدب المفيد والمستفيد**) من صفات لكل من المعلم والمتعلم ، لذا فان الباحث سوف يستنبط منه مايفيد في توضيح أخلاقيات مهنة التعليم (معلما ومتعلما) في عصرنا الحاضر ٠

مشكلة الدراسة :

يتضح مما سبق في أهمية البحث أن وجود العلاقة بين كل من المعلم والمتعلم يمكن أن تخلق جوا إجتماعيا محببا في المدرسة ٠ فالمعلم ومايتصف به من طيب خلق وصبر وبعد نظر تجعل طلابه يقتدون به ويتشربون عنه بعض الصفات ٠ والمتعلم وما يتصف به من حسن الخلق والسلوك مع معلمه والاذعان لنصحه وتوجيهاته تجعل التعليم يتم في جو مناسب وروح من التعاطف بينهما ٠

ولما لأهمية هذه الدراسة وكونها تعرف بالآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المعلم والمتعلم في العملية التعليمية ، لذا فان هذه الدراسة أيضا ستكون باذن الله محاولة للاسهام في تأصيل فكرنا التربوي ، بالنظر في جهود واحد من رواد الفكر الاسلامي في القرن العاشر ، ألا وهو الامام العلموي من خلال كتابه (المعيد في أدب المفيد والمستفيد) وما يحتوي من آداب وأخلاق المعلم والمتعلم والتي يمكن أن تسهم في العملية التربوية وإعادتها

إلى جذورهـــا. التي توصلت إليها دراسات سابقة حيث أن من أهم مبررات القيام بهذه الدراسة التوصيات التالية :

(١) ضرورة اعادة النظر في الفكر التربوي الاسلامي والاستفادة به في العملية التربوية بدلا من الاعتماد على النظريات الأخرى(ملايحي، ١٤٠٧هـ ، ص ١٦٠).

(٢) ضرورة الاهتمام بالتراث الاسلامي التربوي والأخلاقي الذي خلفه العلماء المسلمون خاصة في مجال أخلاق العالم والمتعلم ... والى ضرورة كون القواعد الأخلاقية لمهنة التعليم نابعة من الفكر الاسلامي والتربوي الأصيل (عبد القادر ، ١٤٠٨هـ ،ص ٢١٠).

ولما سبق من مبررات. بالاضافة الى ماتشكو منه مجتمعاتنا الاسلامية من الحيرة اللازمة لها تجاه مقومات العملية التعليمية والحال التي يجب أن تكون عليها . ونظرا لكون المعلم والمتعلم من أهم تلك المقومات ،فقد كوّنت الآداب التي يجب على كل منهما التحلي بها ، وكيفية تحديدها ، وتحديد مصدرها مشكلة تشكو منها الجهات المعنية. ونظرا لكون التبعية الدينية سائدة على معظم أنظمة التعليم ، فقد رغب البعض في إشتقاق تلك الآداب من الفكر الغربي . الأمر الذي وقف عائقا دون تأصيل التعليم في العالم الاسلامي ، كل ذلك كفيل بتحديد المشكلة التي يمكن أن تساهم فيها هذه الدراسة وذلك بالكشف عن الآداب الاسلامية الأصيلة والتي يجب أن يتحلى بها كل من المعلم والمتعلم . وعلى ضوء ذلك فان التساؤل الرئيسي الذي تدور حوله هذه الدراسة هو :

س : ما الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها كل من المعلم والمتعلم ؟

تساؤلات البحث :

يتضح مما سبق أن هناك بعض الآداب والصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المعلم والمتعلم كي يمكن للعملية التربوية أن يتحقق لها الأهداف المرجوة، ومن ثم يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي :

س : **ما الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها كل من المعلم والمتعلم عندالعلموي؟**

ويمكن أن يتفرع هذا السؤال الرئيسي إلى مجموعة من الأسئلة الفرعية وهي :-

س أ :ما أهم ملامح الأوضاع السياسية والاجتماعية والتربوية التي عايشها العلموي ؟ وما مدى تجاوبه مع حاجات ومتطلبات عصره ؟

س ب :ما الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها كل من المعلم والمتعلم كما وردت في كتاب الامام العلموي ؟

س ج :ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين آراء الامام العلموي وآراء غيره من المفكرين المسلمين ؟

س د :ماالنتائج التي يمكن إستنتاجها والتي تسهم في تحديد أخلاقيات مهنة التعليم (معلما ومتعلما) في عصرنا الحاضر ؟

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث الى تحقيق مايلي :

أولا : التعرف على الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها كل من المعلم والمتعلم كما وردت في كتاب (المعيد في أدب المفيد والمستفيد) للشيخ العلموي .

ثانيا : نقد هذه الآراء وموقعه من نظرائه كالغزالي وإبن جماعة وإبن عبدالبر وغيرهم .

ثالثا : دراسة وتحليل هذه الآداب حتى يمكن الاستفادة منها في التطبيقات التربوية في عصرنا الحاضر.

منهج البحث :

سوف يسير الباحث في بحثه وفقا للمنهج التاريخي والذي عرفه جابر وآخرون (١٩٧٨م) بأنه " المنهج الذي يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي ويحللها ويفسرها على أسس علمية دقيقة ، بقصد التوصل الى حقائق وتعميمات تساعدنا على فهم الماضي وفهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل" (ص١٠٤) ومن هنا يتضح لنا أن هذا المنهج يبحث في أحداث الماضي ويحللها ويحاول معرفة العوامل التي أسهمت في حدوثها ٠

والشيخ العلموي الذي عاش خلال القرن العاشر قد سبقه عدد من العلماء الذين بحثوا في آخلاق المعلم والمتعلم ٠ لذا فان المنهج التاريخي يفيد في مقارنة آراء الشيخ العلموي من خلال كتابه (المعيد في أدب المفيد والمستفيد) بآراء من سبقوه خلال العصور السابقة ٠

كما يفيد هذا المنهج أيضا عند البحث عن تفاعله مع العصر الذي عاش فيه العلموي ٠ وقد احتوى كتابه (المعيد في أدب المفيد والمستفيد) على آداب المعلم والمتعلم والتي سوف يقوم الباحث بتحليلها وفق المنهج التاريخي وذلك بالرجوع الى المصادر والمراجع العامة مثل كتب السيرة والحديث والتاريخ وغيرها وربط آراء العلموي حول المعلم والمتعلم ببعض آراء غيره من المسلمين الذين لهم دور واهتمام بالمعلم والمتعلم وذلك رغبة في تحديد الآغراض الآتية :

(١) تحليل العوامل التي أثرت على اتجاهات الشيخ العلموي في تلك الفترة ٠

(٢) الى آي مدى تجاوب مع حاجات ومتطلبات عصره ٠

(٣) مادا يمكن أن تسهم هذه الاستنتاجات في التطبيقات التربوية والتي سوف يستنتجها الباحث من الكتاب والتي تساعد البحث أيضا في تحديد أخلاقيات مهنة التعليم للمعلم والمتعلم في عصرنا الحاضر٠

الدراسات السابقة :

في حدود علم واطلاع الباحث فلم تكتب دراسات مستقلة في هذا الموضوع فشخصية عبد الباسط العلموي لم يكتب عنها من الوجهة التربوية الا أن هناك دراسات أخرى في هذا المجال لشخصيات متعددة تتعلق بأخلاق كل من المعلم والمتعلم ومن هذه الدراسات مايلي :

أولا : دراسة الطالب / عبدالرؤوف يوسف عبدالقادر (١٤٠٨هـ) بعنوان **(أخلاق العالم والمتعلم عند أبي بكر الآجري) :**

وتتكون هذه الدراسة من خمسة فصول :

* **الفصل الأول** : اشتمل على خطة البحث .

* **الفصل الثاني** : اشتمل على طبيعة عصر الآجري الذي يعتبر من أغزر العصور الاسلامية علما وثقافة ، والحياة العلمية في عصره ، وكتاباته وشيوخه وتلاميذه والعوامل التي أثرت في تفكيره ومن بينها تلك الصراعات الفكرية والاختلافات المذهبية ونشوء الفرق العقيدية المختلفة.

* **الفصل الثالث** : عالج الباحث فيها السمات الخلقية للعلماء والمتعلمين عند الآجري خلال القرن الرابع وناقش آراء الآجري مدعما ذلك بالآيات والأحاديث وعزو آرائه الى الواقع الثقافي والاجتماعي في ذلك القرن.

* **الفصل الرابع** : حدد الباحث في هذا الفصل الأخلاق المتعلقة بمهنة التعليم حيث ناقش الباحث الأخلاق المهنية التي يجب أن يتحلى بها العلماء . كما ناقش أهم الأساليب التربوية في طرق التدريس .

* **الفصل الخامس** : تناول الباحث فيه أهم معايير المهنة ، وأهمية الأخلاق في مهنة التعليم ، والقواعد الأخلاقية لمهنة التعليم في التربية المعاصرة على ضوء آراء الآجري . وأخيرا خلصت هذه الدراسة الى عدد من النتائج من بينها :

(١) يجب أن لاتتركز العملية التربوية على الجانب المعرفي وامداد الطالب بالمعلومات ، وإنما يجب أن تمتد لتشمل جوانب الأخلاق والسلوك ٠

(٢) أن تنمية القدرات الأخلاقية تحتاج إلى إعداد خاص للمعلمين ٠

(٣) أن البيئة العامة والعلاقات الاجتماعية لها أثر كبير في نجاح التربية الأخلاقية ٠

(٤) يجب أن تكون الأساليب في طرق التدريس مستوحاه من الواقع الثقافي والاجتماعي ٠

وتختلف هذه الدراسة عن سابقتها لكونها دراسة مستقلة عن مفكر آخر غير الذي تناوله الباحث - عبد الرؤوف يوسف - ، واختلاف العصر ، ومن ثم فان هذه الدراسة تستهدف الاحاطة بدراسة كتاب (المعيد في أدب المفيد والمستفيد) للعلموي وذلك بتقديم تحليل لأفكار الكتاب حتى يمكن الاستفادة منه في عصرنا الحاضر ٠

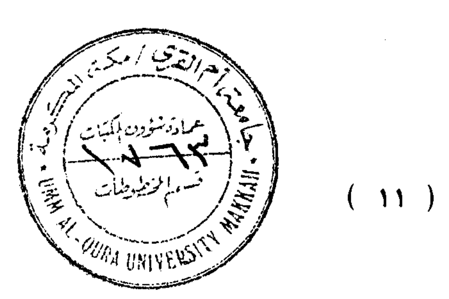
ثانيا : دراسة الطالب / سيد عباس ملايحي (١٤٠٧ هـ) بعنوان (**العلاقة بين العالم والمتعلم عند الامام الغزالي**) :

وتتكون هذه الدراسة من خمسة فصول :

* **الفصل الأول** : استعرض فيه الباحث تعريف عن شخصية محمد الغزالي ونشأته وطبيعة عصره سياسيا واجتماعيا ٠٠٠ وبعضا من مؤلفاته ٠

* **الفصل الثاني** : خصصه الباحث عن مفهوم العلاقات الانسانية وأهميتها في مجال التعليم والتعلم ٠

* **الفصل الثالث** : تناول فيه نظر الغزالي حول طبيعة عملية التعليم والارشاد وأثر المعلم فيها كما تناول الآداب والصفات الانسانية الواجب توفرها في المعلم عند الغزالي ٠



* **الفصل الرابع :** خصص هذا الفصل لبيان آداب المتعلم ومايجب أن يتحلى بها في علاقته مع أستاذه كما هي عند الامام محمد الغزالي ٠

* **الفصل الخامس :** النتائج والتوصيات ،

ومن هذه النتائج :

(١) ضرورة إقامة العلاقة الانسانية بين المعلم والتلميذ٠

(٢) أهمية وجود المعلم الصالح في العملية التربوية والتعليمية٠

(٣) ضرورة الاتصاف بالأخلاق والآداب السنية التي أمر بها الشرع كالصدق والأمانة ، والاخلاص ، والعدالة ٠٠٠ ٠

(٤) المعلم قدوة لتلاميذه في تقويم السلوك ٠

(٥) ضرورة التدرج ومراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ في إعطاء الدروس ٠

ومن التوصيات :

(١) العناية بالمعلم وإعداده إعدادا إجتماعيا ، ونفسيا حتى ينعكس ذلك على التلاميذ عن طريق القدوة الصالحة٠

(٢) أهمية مقام المعلم ومنزلته في الاسلام مما يتطلب توعية المجتمع عن طريق وسائل الاعلام في هذا الخصوص ٠

وهذه الدراسة كسابقتها حيث تناولت شخصية مستقلة ،وعصر يختلف عن العصر الذي ستقدم عنه هذه الدراسة وذلك من خلال كتاب الشيخ العلموي الذي سيقوم الباحث بتحليل أفكاره ومن ثم محاولة إستنتاج الأمور التي يمكن الإستفادة منها في عصرنا الحاضر ٠

ثالثا : دراسة الطالب / علي بن سليمان الربيع (١٤٠٨ هـ) بعنوان
(**إبن عبد البر وآراؤه التربوية**) :

* تناولت الدراسة في **الفصل الثاني** تعريف العلم وأقسامه وقيمته وفضله وشرف العلماء به .

* وفي **الفصل الثالث** قدم الباحث تعريفا للمعلم والمتعلم ومايبنغي أن يتصف به كل منهما من مبادئ تربوية وأخلاق كما بين أهمية الاعداد الثقافي للمعلم وخاصة معلم التربية الاسلامية .

* كما اشتمل **الفصل الرابع** على الطرق والمبادئ والوسائل التربوية التي ينبغي للمعلم أن يقوم بها في عمل التدريس .

وحيث أن هذه الدراسة تختلف عن سابقتها لكونها دراسة مستقلة عن مفكر آخر غير الذي تناوله الباحث هذا مع اختلاف العصر أيضا ، ثم أن هذه الدراسة تستهدف تحليل أفكار كتاب (المعيد في أدب المفيد والمستفيد) للشيخ العلموي المتعلقة بالمعلم والمتعلم حتى يمكن الاستفادة منها في عصرنا الحاضر .

رابعا : دراسة الطالبة : خديجة محمد الجيزاني (١٤٠٧ هـ) بعنوان
(**الآراء التربوية للماوردي من خلال كتاب أدب الدنيا والدين**)

* تناولت الباحثة من خلال **الفصل الثاني** من دراستها مفهوم العلم وأهميته والمكانة العظيمة التي تضفي على العالم وطالب العلم .

* وفي **الفصل الثالث** : تحدثت الباحثة عن أداء المعلم ومسئولياته نحو طلابه سواء كانوا من الخاصة أم من العامة ، وذلك ببذل النصح لهم والرفق بهم ، وأن يكون قدوة لهم بأخلاقه وعلمه . ثم تناولت بعض الصفات التي يجب أن يتحلى بها المتعلم ، ومنها التواضع للعلم والعلماء .

وهذه الدراسة كسابقتها ، لكونها تناولت شخصية وعصر يختلف عن دراسة الباحث هذه والتي تختص بتحليل الأفكار التربوية المتعلقة بالمعلم والمتعلم والتي وردت في كتاب الشيخ العلموي ومدى الاستفادة منها في الوقت الحاضر.

خامسا : دراسة الطالبة / آمال محمد غفوري (١٤٠٧ هـ) بعنوان (**العلاقة الاجتماعية والمهنية بين المعلم والمتعلم في ضوء الحديث الشريف**)

* ذكرت الباحثة خلال دراستها في **الفصل الثاني** المبادئ التي تقوم عليها العلاقة الاجتماعية بين المعلم والمتعلم في ضوء الحديث الشريف، وأوضحت بأن أهم هذه المبادئ . المساواة ، والعدالة ،والتواضع ،والصبر ، والرفق ، والرحمة ، والتسامح ، والصدق ، والأمانة ، والتعاون ، والشورى .

* أما في **الفصل الثالث** فقد أوضحت الدراسة مدى إمكانية الاستفادة من توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم في عدة نواحي منها :

- إلمام المعلم بمادته العلمية والدراسية وصلته بالعلوم الأخرى .
- معرفة المعلم بنفسية المتعلمين من جميع النواحي .
- فهم المعلم لثقافة المجتمع الذي يعيش فيه .

* ومن خلال **الفصل الرابع** أشارت الدراسة إلى الطرق النبوية في تنمية العلاقة بين المعلم والمتعلم ومن هذه الطرق : القدوة ، والتلقين ، وإلى إرتباطهما بالموقف الواحد.

وهذه الدراسة إقتصرت على جانبين هما العلاقة الاجتماعية والعلاقة المهنية في ضوء الحديث الشريف دون بقية الجوانب بينما تختص هذه الدراسة بتحليل أفكار الشيخ العلموي التربوية من خلال كتابه (المعيد في أدب المفيد والمستفيد) والمتمثلة في آداب المعلم والمتعلم ومدى الاستفادة منها في التطبيقات التربوية في عصرنا الحاضر.

الفصل الأول

التعريف بالامام العلموي و عصره

* ويشمل هذا الفصل على : -

- مقدمة .
- نشأته وحياته العلمية .
- أعماله ومؤلفاته .
- طبيعة العصر الذي عاش فيه الامام عبدالباسط العلموي ويشمل :

(١) الحياة السياسية .
(٢) الحياة الدينية .
(٣) الحياة الاجتماعية .
(٤) الحياة العلمية .

نشأته وحياته العلمية :

نشأ وتربى الامام عبدالباسط العلموي مع والديه بدمشق ، وذكر الزركلي (١٩٨٠م) أن اسمه " عبدالباسط بن موسى بن محمد بن اسماعيل العلموي... دمشقي شافعي " ص ٢٧٠ . وأضاف كحالة (١٣٧٦ هـ) الى أن مولده كان في " ١٥ رجب سنة ٩٠٧ هـ وأنه علم مشارك في بعض العلوم " ص ٦٩ .

كان والده موسى بن محمد بن اسماعيل الشيخ شرف الدين العلموي الشافعي أحد الشهود القدماء المعدلين في دمشق ، خطيب جامع الحاجب بسوق صاروجا توفى بغتة يوم الاثنين الثامن عشر من جمادي الآخرة سنة ٩٤٠ هـ ، فخلفا ولدين كان أكبرهما الامام عبدالباسط العلموي (الغزي ، ١٩٤٩ م ، ص ٢٥٣) الذي تلقى تعليمه في دمشق .

ولما وقعت الفتنة بين الجراكسة والعثمانية سنة ٩٢٢ هـ رحلت به والدته مع ابنتها وبعلها عبدالله بن القرعوني الى القرعون فمكث هناك ثمانية أشهر خطب خلالها ووعظ بالمساجد ثم عاد الى دمشق سنة ٩٢٣ هـ. وفي سنة ٩٦٠ هـ احترقت داره وفيها أسبابه وكتبه ، توفى سنة ٩٨١ هـ وصلى عليه شيخ الاسلام أبو البركات بدر الدين الغزي اماما ودفن بباب الفراديس. (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، المقدمة).

شيوخه :

تتلمذ الامام عبدالباسط العلموي على أيدي عدد من الأئمة والشيوخ في ذلك الوقت منهم : -

أولا : الامام الغزي :

وهو محمد بدر الدين الغزي العامري القرشي الشافعي ، الفقيه المفسر المحدث النحوي المقرئ الداعي الى الله وشيخ

الاسلام والمسلمين وأهل السنة الجامع بين الشريعة والحقيقة وروح هذه الطبقة ، والذي سبق من بعده ولم يفته من تقدم من قبله، الحائز على قصبات السبق في تحقيق العلوم الشرعية وتدقيق الفنون العقلية والنقلية (الغزي ،١٩٤٩م ،ص ٣) ٠

ولد الشيخ محمد بدر الدين الغزي في أربعة عشر من ذي القعدة سنة أربع وتسع مائة للهجرة قرأ القرآن العظيم على المشايخ الكمل الصالحين وتعلم الفقه والعربية والمنطق والحديث وبرع ودرس وألف وشيوخه أحياء فقرّت أعينهم به ، اجتمع عليه الطلبة وهو ابن سبعة عشر سنة واستمر في ذلك حتى الممات مشتغلا في العلم تدريسا وتصنيفا وافتاء ليلا ونهارا مع الاشتغال بالعبادة وقيام الليل وملازمة الأوراد ٠ ومن وظائفه الدينية التي تولاها الغزي مايلي : " مشيخة القراء بالجامع الأموي ، امامة المقصورة بالجامع الأموي أيضا " كما انه درس بعدة مدارس ،كانوا يقصدونه الناس في منزله للعلم وطلب الدعاء ٠

وممن آخذوا عنه : ـ قاضي القضاء محمد آفندي المعروف بجوي زاده ، وابن البستان ،والمفتيان بدمشق ، ابن العبد ، وفوزي آفندي ٠ وكان كل هؤلاء يفتخرون بالشيخ وأخذهم عنه بلغت تصانيف هذا الشيخ في سائر العلوم مائة وبضعة عشر مصنفا كما أن الامام الغزي نظم الشعر وكان شعره في غاية الحسن والقوة وأكثره كان في الفوائد العلمية٠

لقد جمع رضي الله عنه بين العلم والعمل والسيادة والرئاسة وحسن السمت وحسن الخلق والسخاء والحياء عاش ثمانين سنة الا أيام قليلة وكانت وفاته سنة ٩٨٤ هـ (الغزي ، ١٩٤٩ م ،ص ص ٤ ـ ٩)٠

ثانيا : الوفائــي :

وهو الشيخ العلامة شمس الدين بن محمد بن اسماعيل الوفائي ، الواعظ والذي آخذ عن شيخ الاسلام أبي الفتح المزي ، درس الفقه والحديث وكان من بين الذين تفقهوا على يديه الامام عبد الباسط العلموي ومحمد الحسيني الدمشقي الشافعي ، وأحمد بن شعبان ابن شهاب الدين وزكريا الأنصاري (الغزي ،١٩٤٩م ،ص ٢٥١)٠

أعمال ومؤلفات الامام العلموي :

أولا : أعمالــه :

(١) الخطابــة :

لما بلغ الامام عبد الباسط العلموي الرابعة عشر من عمره اختاره والده سنة ٩٢١ هـ للخطابة في جامع الحاجب بسوق صاروجا ، فخطب بحضور جماعة من أمراء المحلة فخلعوا عليه ووصلوه وحرضوه على ملازمة الخطابة ففعل ، كما خطب في بلدة القرعون عندما رحل مع والدته (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص المقدمة)

(٢) الوعظ والارشاد :

عمل الامام بعد رجوعه من بلدة القرعون سنة ٩٢٣ هـ بالوعظ والارشاد بجانب استقلاله بالخطابة في جامع الحاجب وصار ذلك فيه حالا وصرفه كمايقول هو عن نفسه (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، المقدمة) وذكر الغزي (١٩٤٩م) " آن له انشاءات وعظية يستعملها رؤساء المولد وكان يعظ الناس يوم الخميس في رجب وشعبان ورمضان في الجامع الأموي " ص ١٦٢ ٠

(٣) رئاسة المؤذنين :

تولى الامام عبدالباسط العلموي رئاسة المؤذنين بجامع دمشق الأموي بعد أبي البقاء بن علقون سنة ٩٣٨ هـ وقال الغزي (١٩٤٩ م) " كان له فضيلة في علم المقيات وعلم النغمة والتلحين ثم أخرجت عنه رئاسة المؤذنين للجلال الرملي قبل موته بمدة قريبة " ص ١٦٣٠

ثانيا : مؤلفاته :

زيادة على ما اشتهر به الامام عبدالباسط العلموي من الخطابة والوعظ وعلم الميقات فان له مؤلفات هي :

(١) المعيد في آدب المفيد والمستفيد :

وقد قام بتحقيقه أحمد عبيد أمين التراث العربي في دمشق وطبع على نفقة المكتبة العربية في دمشق لأصحابها عبيد اخوان ونشر عام ١٣٤٩هـ٠ وهذا الكتاب الذي سيتناول فيه الباحث جزءا يتعلق بآداب المعلم والمتعلم والذي يشبه الكتب التربوية التي سبقته مثل كتاب ابن عبدالبر " جامع بيان العلم وفضله " ٠ ويقع كتاب المعيد في آدب المفيد والمستفيد في حوالي ١٥٠ صفحة من الحجم المتوسط ، وهو كتاب ممتع وشيق حوى الكثير من آراء المربين السابقين كالغزالي ، وابن جماعة ، وابن عبدالبر ، والآجري ٠٠٠ ، ويكاد يكون نموذجا جرى عليه العرب في كتاباتهم عن المعلم والمتعلم ،كما اشتمل هذا الكتاب على ستة أبواب وهي :

الباب الأول : في فضيلة الاشتغال بالعلم وتعلمه ونشره وحضور مجالسه ، وتحذير من أراد بعلمه غير الله وتحذير من آذى عالما وفيه ثلاثة فصول وهي:

(١) فضيلة الاشتغال بالعلم وتصنيفه وتعليمه ونشره وحضور مجلسه والحث على ذلك ٠

(٢) تحذير من أراد بعلمه غير الله تعالى ٠

(٣) تحذير من آذى أو انتقص عالما ، والحث على اكرام العلماء وتعظيم حرماتهم ٠

الباب الثاني : في أقسام العلم الشرعي وهي ثلاثة التفسير،والحديث، والفقه ، ومراتبه وهي ثلاثة أيضا فرض عين ، فرض كفايه ، وسنه ٠

الباب الثالث : في آداب المعلم والمتعلم وهي ثلاثة أنواع وهي موضوع دراسة الباحث ويشمل هذا الباب أكثر من ثلث الكتاب وهذه الأنواع :

(١) آدابهما في نفسهما ، وآدابهما في مجلس الدرس ٠

(٢) آداب يختص بها المعلم وقد يشاركه في بعضها المتعلم، وتنقسم الى ثلاثة أقسام : آدابه في نفسه ، آدابه مع طلبته ،آدابه في درسه ٠

(٣) آداب يختص بها المتعلم وتنقسم الى ثلاثة أقسام هي : آدابه في في نفسه ، وآدابه مع شيخه ، وآدابه في مجلس درسه ٠

الباب الرابع : في آداب الفتوى والمفتي والمستفتي وهي أربعة أنواع : -

(١) الأمور المعتبرة في كل مفت ٠

(٢) أحكام المفتي وآدابه ٠

(٣) آداب الفتوى ٠

(٤) آداب المستفتي وصفته وأحكامه ٠

الباب الخامس : في شروط المناظرة وآدابها وآفاتها وفيه فصلان هما بيان شروط المناظرة ، وآفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق ٠

الباب السادس : في الآدب مع الكتب ومايتعلق بتصحيحها وضبطها ووضعها وحملها وشرائها واستعارتها وغير ذلك وفيه مسائل .

(٢) **مختصر تنبيه الطلب وارشاد الدارس** (لأحوال الفائدة بدمشق كدور القرآن والحديث والمدارس) :

وهذا الكتاب هو مختصر لكتاب " **الدارس في تاريخ المدارس** "لعبدالقادر النعيمي والذي ميز العلموي بعض زياداته بقول " قلت " وذيل عليه بذيل ذكر فيه ما آستحدث من مساجد بدمشق بعد النعيمي ، كما آن فيه اضافات للعلموي ، والعدوي ، وابن مفلح ، وهي ملاحظات شخصية كتبها شهود أعيان .

حقق العلموي هذا الكتاب - المختصر - وكانت المديرية العامة للآثار بدمشق هي التي تولت نشره سنة ١٩٤٧م ، فجاءت فهارسه ناقصة ،وبالاضافة الى ذلك فانه يصعب الحصول عليه خارج دمشق لأنه آقرب الى المخطوط منه الى المطبوع . وقد آلحق به صلاح الدين المنجد خارطة كبيرة لدمشق بيّن فيها مواضع المدارس والمساجد والزوايا والترب . كما ذكر في كتاب (معجم المؤرخين الدمشقيين) آن نسخه من هذا المختصر في (التيمورية) رقم (٢٠١٨) مصور عن مخطوطة باريس ، ونسخة في الظاهرية تحمل رقم (٧٩١٩) ، ونسخه في المتحف البريطاني تحمل رقم (٧٠٦).

(٣) له **تعليقات** وجيزة على مختصر طبقات الحنابلة الذي اختصره الشمس النابلسي وقيل آنه لخص هذا المختصر .

(٤) له آيضا **تعليقات** آخرى على ذيل طبقات الحنابلة للحافظ بن رجب رحمه الله تعالى .

طبيعة العصر الذي عاش فيه الامام عبد الباسط العلموي :

أولا : الحياة السياسية :

عاش الامام العلموي في الفترة مابين ٩٠٧ هـ – ٩٨١ هـ . وقد شهدت بلاد الشام خاصة ، وبلدان العالم الاسلامي عامة خلال هذه الفترة مايلي :

(١) نهاية حكم المماليك :

عاش الامام العلموي حياته الأولى حين كانت بلاد الشام تحت سيطرة سلاطين المماليك ، وقد تميزت الحالة السياسية خلال تلك الفترة بكثرة الفتن وعدم الاستقرار ، والذي كان وراءها سوء قيادة السلاطين والتغيرات السريعة في نظام الحكم التي تسير دونما ضابط معين ، وانشغال السلاطين باللهو ومسبباته (علي ،١٣٨٩ هـ ، ص ص ١٩٧–٢٠٣) ولعل سيادة مثل هذه الأمور أصبح نذيرا يقرب نهاية دولة المماليك ، ولكن السلاطين لم ينتبهوا لذلك ، واستمروا مشغولين باللهو والفساد الى أن وجدوا أنفسهم أمام جيوش السلطان سليم الأول الذي دخل دمشق في ١١ رمضان سنة ٩٢٢ هـ (ابن طولون ،١٣٨٤هـ ،ص ٣٤).

(٢) بداية العهد العثماني :

عندما دخل السلطان سليم الأول بجيشه بلاد الشام ومنذ ذلك العهد أصبحت بلاد الشام تحت الحكم العثماني . وقد حرص السلطان سليم الأول على ابقاء بلاد الشام على نفس الحال التي كانت عليه ابان الحكم المملوكي . وقد وصف ذلك عبد الكريم رافق (١٩٦٨م) بقوله :" سمح العثمانيون لأصحاب الاقطاعات بالبقاء على إقطاعاتهم ،ولأرباب الوظائف المدنية بالبقاء في وظائفهم ، ولابد أن هذا الاجراء قد أرضى كثير من المنتفعين ودعم استمرار كثير من التنظيمات المملوكية ... وقد وطد العثمانيون الأمن والهدوء في دمشق ، وفتكوا باللصوص الذين حاولوا

استغلال تبديد السلطة السياسية ، فحفظوا بذلك هيبة حكمهم ،وحافظوا على أموال الناس وأمنهم ،، ص ١١٣ ٠

هذا وقد استمر حكم السلطان سليم الأول مدة تقدر بثمان سنوات وثمانية أشهر ، تولى بعده إبنه سليمان القانوني الذي كان على جانب من العقل وحب القانون ، إلا أن بلاد الشام أصبحت في أيامه الطويلة التي دامت ثمان وأربعين سنة في معزل عن السلطان والحكومة نظرا لانشغاله بتوسيع رقعة بلاده ٠ ولقد أصبحت بلاد الشام جزءا صغيرا من المملكة العثمانية لا يهم السلطان فيها الا أن تقام الخطبة باسمه ، وتجبى الجبايات ، ولايتأخرالولاة عن إنفاذها إلى دار الملك (علي ،١٣٨٩ هـ ،ص ص ٢٢٦ – ٢٢٨)٠

ومن هنا يتضح أن الامام العلموي يرحمه الله قد عاش في فترة امتازت بكثرة الفتن والمخاوف والحروب الطاحنة بين أبناء المسلمين أنفسهم٠ وإهمال الحكام للرعية ، وإنشغالهم بتوسيع رقعة بلادهم وجمع الضرائب ٠

ثانيا : الحياة الدينية :

امتازت الحياة الدينية بالإستقرار – خلال الفترة التي عاشها الامام العلموي – والبعد عن المذهبية – التي شهدها العصر العباسي وميزته بالجدل والمناظرات التي مزقت وحدة الأمة في ذلك الوقت – حيث ساد مذهبأهل السنة وكثر عددهم بسبب اجتهاد العلماء في نشره بين عامة الناس بالاضافة الى القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ينبغي ٠ ثم انه بجانب أهل السنة وجدت طائفة قليلة من الشيعة منطوية على نفسها بسبب كثرة أهل السنة وانتشارهم٠ وبالاضافة الى أبناء المسلمين عاشت طائفة من اليهود والنصارى كانت تمارس طقوسها الدينية بحرية تامة في العصر المملوكي (العلبي ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٨٩)، كما إنتشرت أيضا ظاهرة التصوف واتسع نطاقها بين عامة الناس حيث أن هذه الظاهرة صيغت القيم والمثل العليا باتجاهاتها الخاصة ، وشاع بين المتصوفين التواكل ، والرغبة عن الدنيا ،

والاستكانة والتذلل بين عامة الناس (النباهين ، ١٩٨١م ، ص ١٤٥)٠

ثالثا : الحياة الاجتماعية :

ساد المجتمع الاسلامي خلال حياة الامام العلموي النظام الطبقي وعلى هذا فمن الممكن تقسيم المجتمع الاسلامي الى الطبقات الآتية :

(١) الطبقة الحاكمة :

وامتازت هذه الطبقة في العصر المملوكي بترفعها عن المحكومين وقد أدى ذلك الى حدوث فجوة واسعة بين الحاكم والرعية ، مما كان له الأثر السيء على المجتمع (عاشور ، ١٩٥٩ م ، ص ١٥٧) أما الحكومة العثمانية فامتازت بالمركزية وكان الحاكم هو وحده الذي يعين الوزراء وولاة الأقاليم (العلبي ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٤١٩)٠

(٢) طبقة التجار وذوي الأموال :

وتعد هذه الطبقة أقرب الطبقات الى الحاكم وذلك لكونهم يمدونه بالأموال عند الحاجة ، وخاصة في عهد المماليك (سليم ، ١٣٨١هـ ، ص ٢٨٦)٠

(٣) طبقة العلماء وأهل العلم :

وهذه الطبقة مميزة تقدم لهم الأمة عامة والسلاطين خاصة الاحترام والتقدير ، وقد احتلوا مركز الزعامة والاصلاح ، واشتهروا بمواقفهم الجريئة في مواجهة الحكام ، وكانوا يسيطرون على معظم الوظائف الادارية الهامة كالقضاء ، والأوقاف ، والخطابة ، والتدريس ، والحسبه ، وما شابه ذلك (العلبي، ١٤٠٢هـ ، ص ٤١٧)

(٤) طبقة العامة :

ويدخل في هذه الطبقة الباعة ، وأهل الفلح والزراع، وسكان القرى والريف وأصحاب المهن والحرف المختلفة (ابن طولون ، ١٤٠٤هـ، ص ١٥٧)وقد ساهمت زيادة الضرائب والمكوس على بقاء هذا النظام الطبقي واستمر خلال حياة الامام العلموي وبعدها.

الحياة العلمية في عصر الامام العلموي :

بما أن الامام عبد الباسط العلموي أدرك أواخر العصر المملوكي وأوائل العصر العثماني لذا فان العصر المملوكي من الناحية الفكرية إمتداد للعصر العباسي بحضارته الاسلامية إلا أن هذا العصر المملوكي قد شهد انحطاطا نسبيا ، فاللغة العربية كان لها مكان مرموق في عهد المماليك ولكنها لم تضاه بطبيعة الحال العصر العباسي كذلك بقية العلوم أيضا ، ثم إن شعور المماليك بعجميتهم ورغبتهم في تدارك هذا النقص جعلهم يشجعون العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم .

ومن هنا لم يحدث ما يعرقل مسيرة الناحية العلمية أو يؤثر في حيويتها خلال العصر المملوكي ، بل كانت منيعة الجانب ولكن بوادر ضعف اللغة وغيرها من العلوم قد بدأت تظهر في أواخر العصر المملوكي. كما ضعفت أيضا خلال العصر العثماني حيث حلت التركية محلها فصارت لغة الدواوين والمحاكم وقل عدد الذين يلمون بالعربية الى حد كبير (العلبي ،١٤٠٢ هـ ، ص ١٥٩). كما أنه لم تكن سيطرت المماليك على الحكم شديدة بل تركوا قسما كبيرا من الوظائف الهامة بأيدي علماء البلد الذين أطلق عليهم لقب - المتعممين - وهذا أبقى العربية لغة الادارة والحياة في العصرالمملوكي.

أما حالة البلاد في أوائل العصر العثماني والذي شهده الامام عبد الباسط العلموي بدمشق فقد كانت مضطربة بسبب الحروب الخارجية والفتن

الداخلية والتي من بينها الفتنة التي وقعت بين الجراكسة والعثمانيين (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص هـ المقدمة) ٠

ومع وجود هذه الفتوحات والفتن الداخلية الا أنها لم تؤثر على الحالة العلمية في بداية العصر العثماني حيث كانت نشطة بسبب بعض العوامل التي سأذكرها فيما يلي وهي : -

(١) إن حكام ذلك العصر كانوا على مستوى من الثقافة ، وكانوا غيورين على الاسلام حيث ذكر الغزي (١٩٤٩م) أن السلطان سليمان القانوني والذي دام حكمه ثمان وأربعين سنة (٩٢٦هـ / ٩٧٤ م) " كان ملكا مطاعا مجاهدا يحب العلم والعلماء ويقف عند الشرع الشريف ، بنى مسجدا عظيما شيد بناءه ووسع فضاءه " ص ١٥٧٠

(٢) تعظيم أهل العلم والعلماء فقد قابل سليم الأول عندما فتح دمشق العلماء وأكرمهم وأحسن مقابلتهم كما فرق الانعامات على المساجد وأمر بترميم الجامع الأموي ، فلما صلى به أضاف الخطيب عندما دعا له هذه العبارة خادم الحرمين الشريفين ٠

وما ان وجد هذا الاحترام والتعظيم للعلماء حتى أصبح له الأثر المباشر في نفوسهم على أن يظلوا مجاهدين حريصين على الشريعة مستنيرين من العلم والفضل باثين هذه الروح في طلابهم حتى ينهجوا منهجهم وطريقتهم وقد وجد ذلك أيضا خلال العصر المملوكي حيث كان العلماء لهم دور في تصريف شئون الدولة من خلال المتعممين من أهل البلد الذين كانوا يسيطرون على معظم الوظائف الادارية الهامة (العلمي ،١٤٠٢هـ ، ص ٤١٧)٠

(٣) غيرة السلاطين والأمراء حيث أنهم كانوا مسلمين مما أفاد الاسلام في دفع كثير من الأذى ودفع عنه ضروبا من العدوان مما دفع

العلماء الى نشر رايته وبث روح الاسلام عن طريق التعليم والتأليف ومواصلة البحث والاطلاع. وشعورهم بواجبهم وتنافسهم في آدائه (سليم ، ١٣٦٨ هـ ، ص ٢٦).

(٤) ثم إن لغة الأتراك أو الجركسية عجزت عن آداء ما يتطلبه حكم المماليك الواسع من ضبط وأمن ونشر تعليمات وبعث مراسلات وقضاء وتشريع فانصرفت العناية الى اللغة العربية لأنها لغة أهل العلم وقد عني بها ، ثم أنه كيف يمكن أن تحول لغة هذه الجموع الزاخرة عن لسانها الى لسان غيره والتي قد لا يكون للمماليك بها خبرة (سليم ، ١٣٦٨ هـ ، ص ٢٦).

جوانب القصور أو التدهور :

كما تحدثنا عن بعض العوامل التي ساعدت على نشاط الحركة العلمية الا أن هناك أمور أدت الى قصور وتدهور في الحركة العلمية وبالأخص في نهاية العهد المملوكي وأوائل العصر العثماني ومنها إنقسام التعليم عند المماليك الى نوعين :

* النوع الأول : التعليم الخاص بالطبقة الحاكمة :

وتغلب على هذا التعليم الصفة العسكرية والتربية الجندية المنظمة ، فالطالب المملوكي يتعلم القرآن والخط وآداب الشريعة ، ثم يدرس شيئا من الفقه الى أن يصل إلى سن البلوغ ، فيتعلم الفروسية ويتدرب على ألوان الحرب ، بالإضافة إلى ذلك فإنّ سلاطين المماليك وأمرائهم لم يكونوا بمعزل عن العلماء والجلوس اليهم بل كانوا على صلة بكبار العلماء والفقهاء مما يوحي الى أنه كان في وسعهم أن يختاروا أفضل الكفاءات من المعلمين لتعليم أبنائهم في مدارسهم التي يختارونها. أما التعليم الحربي الذي هو جزء من تعليم الطبقة الحاكمة فقد كان على جانب من الأهمية حيث إنه إذا بلغ المملوكي سن البلوغ أخذ في تعليمه أنواع الحرب المتمثلة في ركوب الخيل ،

واللعب بالرمح ، والحذق في الرماية ، والضرب بالسيف (المقريزي،د٠ت ،ج ٢ ، ص ٢١٣)٠

*** النوع الثاني : التعليم الخاص بالمحكومين أو عامة الناس :**

وقد إهتم سلاطين المماليك والأمراء في بناء دور العلم ولم تكن ضمن سياسة تعليمية ثابتة ومدروسة ، وإنما كان أمرا مرتجلا يخضع لرغبة السلاطين أو الأمراء ، أو أثرياء الناس٠ وقد فتحت أبوابها للناس جميعا ،يجدون فيها إلى جانب العلم والمعرفة ألوانا شتى من العناية والرعاية٠

أما نواحي القصور والتدهور في الناحية العلمية في أوائل العصر العثماني فان سيطرت الجمود المطلق على الفكر العربي وتعصب العثمانيين لمذهبهم الخلفي جعلهم لم يقبلوا أي حجة أو مناقشة فيه ، فتحول بذلك الجمود المذهبي السائد في العصر المملوكي الى تحجر مطلق في العصر العثماني ولاسيما في صفوف المشتغلين بالعلوم الدينية (العلبي، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٩٥) ثم بالاضافة الى ذلك نستطيع القول ان العثمانيين شغلتهم الحروب ولم ينصرفوا الى العلم بسبب الانشغال بالفتوحات والحروب المستمرة في كل الجبهات ، ومما أشار اليه حسون (١٤٠٣هـ) أن العثمانيين " أيدوا انتصارات وقدموا خدمات للفتوح ولكنهم وقفوا عاجزين أمام متطلبات الحضارة وبقيت دولتهم على هذه الصورة حتى نهايتها فلم يقدموا الجوانب العلمية مما جعل البلاد في حالة تخلف ٠٠ " ص ٨٠ ٠

فالعصر العثماني كما وصفه بعض المؤرخين أن الصفة الغالبة عليه أنه من العهود المظلمة في تاريخ الشام ودمشق وإن لم يدرس دراسة دقيقة من جميع جوانبه حيث أن النصوص والوثائق العربية والتركية المتعلقة به لم تنشر وتستثمر وما درس ونشر فيها فقليل حيث أصاب دمشق خلال هذا العصر أعظم النكبات وتوقف رقيها وانحطت أمورها وتعطلت أمور الحياة فيها (المنجد، ١٩٦٤م ، ص ٦)٠

ثم إن من أسباب القصور وتدني الحركة التعليمية تعصب العثمانيين من جهة ، ونضوب الموارد المادية للتعليم من جهة أخرى ، حيث أن ماصحب الفتح العثماني من ظروف اقتصادية وسياسية وما استحدث من نظم ساهمت إلى حد كبير في القضاء على الدور الكبير الذي قامت به الأوقاف الخيرية في عصر المماليك ، كل ذلك كان له الأثر في التدهور الذي شهدته البلاد وخاصة في الناحيتين العلمية والثقافية (العلبي ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٩٦).

دور التعليم :

إن إنشاء دور التعليم يعتبر سببا أساسيا وحيويا لتنشيط الحركة العلمية لما تضمنته من مدارس ودور أخرى للتعليم - كالمساجد والمعاهد والخوانق والزوايا - ومن مدرسين وطلاب ، ولما يقرر فيها من دروس وهي البيئة الطبيعية التي ينمو فيها ويزدهر ، وتمثل دور العلم خلال العصرين - المملوكي ،والعثماني - مايلي :

أولا : المساجد :

تعتبر المساجد من أقدم المؤسسات التعليمية علاوة على مايقوم به من مهام جليلة ، فالمسجد دار للعبادة والصلاة ومركزا تربويا ثقافيا يعقد به حلقات العلماء لدراسة القرآن الكريم والفقه واللغة. كما كان المسجد قديما مركز لتصريف شئون الدولة قبل إنشاء الدواوين الحكومية بالاضافة الى كونه مركزا إعلاميا هاما تذاع فيه الأخبار الخاصة بالمصالح العامة والهامة . كما أن المسجد له دور كبير في التجهيز للحروب والغزوات ،وفنيه أيضا يلقى الخليفة خطبته عند مبايعته (مرسي ، ١٩٨٦م ،ص ١٩٩). فالمسجد وهو أحد المؤسسات التعليمية ليس قاصرا في الاسهام على نشر العلم على العلوم الدينية بل شمل العلوم الأخرى نظرا للانفتاح العلمي واحتكاك المسلمين بالحضارات الأخرى . وكان الشيوخ والعلماء يقومون بالتعليم في المساجد احتسابا لوجه الله (مرسي ، ١٩٨٦م ، ص ٢٠٤).

ثم إن المسجد لعب دورا هاما في حياة أهالي دمشق في النواحي الاجتماعية التي شملت إجتماعاتهم ، وإنتقاداتهم فيما لا يروق لهم من تصرفات الحكام ، ومعالجة قضاياهم بالإضافة إلى كونه مركزا للعبادة والصلاة وقراءة القرآن ، كما كان له دور في الناحية العلمية والتي شملت كثيرا من أنواع المعرفة لمن يتلقون فيه دروسا وعلوما مختلفة على أيدي معلمين لهم شهرتهم ومكانتهم العلمية ، مثل شهاب الدين القوصي - المفتي - والذي أنشأ دار الحديث القوصية بالجامع الأموي ، وصلاح الدين العلائي والذي درّس بدار الحديث الحمصية (النعيمي ، ١٩٨٨م ، ص ٥٩) . ومن أهم الجوامع والمساجد بدمشق مايلي :

* **الجامع الأموي :**

وهو جامع قديم ولازال موجودا بدمشق وهو من بين المساجد المشهورة والذي وصفه الشيخ علي الطنطاوي في كتاب أسماه " الجامع الأموي في دمشق " وقد كسب بذلك شهرة لقدمه . وكان لهذا الجامع دور ايجابي في اشاعة العلم والمعرفة والثقافة لأنه كان بمثابة الجامعة العلمية بما إشتمل عليه من مدارس ملحقة به وخزانات للكتب العامرة بصنوف المؤلفات وبحلقات العلم النشطة . هذا الجامع كان به عدد من الأئمة والمؤذنين والوعاظ وكان من بينهم الامام عبد الباسط العلموي الذي تولى رئاسة المؤذنين بعد أبي البقاء ابن عقلون سنة ٩٣٨ هـ وكان أحد الوعاظ بالمسجد فالمؤذنون كما ذكرهم العلبي (١٤٠٢ هـ) بالجامع الأموي " سبعون مؤذنا يبدأ عملهم من ثلث الليل الأول حيث يسبحون ويبتهلون حتى مطلع الفجر ... ولايزال عملهم هذا الى اليوم ولكن على نطاق ضيق ... وكان القرآن يتلى فيه ليل نهار، وقد كان الناس يجتمعون فيه بعد صلاة الفجر ليقرآوا " سبعا " من القرآن ، ثم يجتمعون بعد صلاة العصر لقراءة الكوثرية " ص ١٦٩ . وكان بالمسجد حلقات للتدريس في فنون العلم وبه جماعات متخصصة بتعليم القرآن ومركز اجتماع أهل دمشق ووجوهها وملتقى علمائها وعلماء المسلمين الوافدين

على دمشق ومن ذلك ما ذكره العلبي (١٤٠٢هـ) " أنه إذا نزل عالم غريب بدمشق لم يكن علماؤها وأهلها يقبلون عليه الا بعد استماعهم لدرسه في الجامع الأموي ومعرفة قدره حق المعرفة " ص ١٧١ . ومن هنا فقد كان ضيوف دمشق من كبار العلماء يبادرون الى التدريس في الجامع الأموي ويتلقون الأسئلة التي تطرح عليهم من أهل البلد ، لمعرفة مدى علمهم ،ولم تكن سمعة العالم ولا ألقابه ولا مناصبه بالتي تعفيه من هذا الامتحان ، فاذا نجح هذا العالم الغريب في الاجابة على الأسئلة التي تطرح عليه ، وأظهر علمه واقتداره على ذلك فان أهل البلد يحترمونه ويقبلون عليه ،ولايكرهونه ، وان لم يكن كذلك فانهم يعرضون عنه فلا يسعه الا الرحيل ، وقد بقيت هذه العادة حتى العصر العثماني (العلبي ،١٤٠٢ هـ ، ص ١٧١).

وبجانب الجامع الأموي بدمشق هناك عدد من المساجد الهامة التي تعتبر مراكز للتعليم حيث تلقى فيها دروس وتعقد فيها حلقات العلم النشطة بجانب كونها مركز عبادة للصلاة ومن أهم هذه المساجد :-

- جامع العقيبة المعروف بجامع التوبة شمال باب الفراديس .
- جامع يلبغا إلى الشمال الغربي من القلعة .
- جامع ينكز إلى الغرب من القلعة (العلبي ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٧٨).

أما عن رسالة المسجد العلمية فقد كان فيه مدارس منفصلة عنه بأوقافها ومتصلة به ببنائها ومن هذه المدارس مايلي :-

* **دار الحديث القوصية** : وهي الحلقة بالجامع الأموي وعرفت بالقوصي شهاب الدين وكيل بيت المال بالشام وكان فقيها فاضلا مدرسا أديبا وصف بالمفتي المحدث (النعيمي ، ١٩٨٨ م ، ص ٣٨).

* **دار الحديث الحمصية** : المعروفة بحلقة صاحب حمص درس بها كثير من العلماء ومن أشهرهم صلاح الدين العلائي .

* **دار الحديث العروبية** : وتقع بالجانب الشرقي من صحن الجامع الأموي قبلي الحلبية وتعرف قديما بمشهد علي رضي الله عنه (النعيمي،١٩٨٨م، ص ٥٩) ٠

وقد كان بالجامع الأموي مجموعة من المشاهد منها ، مشهد السيدةعائشة أم المؤمنين في الناحية الغربية ، ومشهد لأبي بكر ، وعمر وعثمان، ومشهد لعمر بن عبدالعزيز وغيرها من المشاهد (النعيمي ،١٩٨٨م ، ص ٣٩٩)٠

ثم إن المساجد حظيت باهتمام السلاطين والأمراء فهذا سليم الأول سلطان الدولة العثمانية والذي فتح دمشق سنة ٩٢٢ هـ أمر بترميم الجامع الأموي بدمشق ، وهذا إبنه سليمان القانوني بنى مسجدا عظيما شيد بناءه ووسع فضاءه ، وبنى إلى جانبه المدارس العظيمة أعظمها دار الحديث السليمانية ، وأمر بتعمير التكية السليمانية بدمشق ، وبنى اليها مسجدا جامعا ،ومدرسة عظيمة شرطها للمفتي بدمشق ، وكان إبتداء عمارة التكية والمسجد سنة٩٦٢ هـ وأكملت هذه العمارة في شهر صفر سنة ٩٦٧ هـ (الغزي ،١٩٤٩م ،ص ١٥٧)وهذا نموذج من نشاط المساجد في الحركة العلمية ولا تخلو مدينة من نشاط علمي في مساجدها٠

ثانيا : المدارس :

انتشرت المدارس خلال العصر المملوكي وكان ذلك راجع الى عدة أسباب منها :

(١) رغبة السلطان أو الأمراء أو الأثرياء بدافع القربى الى الله٠

(٢) الرغبة في الابقاء على بعض الممتلكات التي يوقفها الأمير أو الثري على المدرسة أو المسجد أو مكتب التعليم فلا تصادر بعد موته ٠

(٣) رغبة في تخليد الذكرى وابقاء السيرة الحسنة بعد الموت ٠

ثم إن المماليك اعتنوا باختيار المعلمين لهذه المدارس وتقديم مختلف ألوان المعرفة لطلابها ، وزودوها بخزانة الكتب خدمة للقراء والباحثين أما سلاطين الدولة العثمانية وبالأخص السلطان سليمان القانوني الذي أحب العلماء وشيّد المدارس العظيمة . وجعل نشاط المدارس لا يقل عن نشاط الجامع فقد ذكر الحجاجي (١٤٠٨هـ) إلى أن النظام في هذه المدارس نوعين هما :
" المدارس ذات المدرس الواحد ، يتولى مشيختها أستاذ جدير يدرسها حتى يحال من هذا المنصب بتنحيته عنه أو بموته ثم يعقبه غيره وهكذا ،وما يشبه الجامعة العلمية حيث يدرس بها أكثر من مذهب وتوضع لها الميزانيات وتخصص لها الأموال " ص ٨٩ .

كما أنه من الواضح أن المدارس الكبرى التي أنشأها السلاطين والأمراء كانت أطول عمرا وأكثر استقرارا من غيرها من المدارس الأهلية التي بناها أفراد آخرين ، والسبب راجع الى أن الأولى تحظى بأوقاف كثيرة ذات أموال وفيرة ثم حسن ادارتها وصيانتها ، أما الأخرى فانها بعد موت الواقف تتعرض للنهب والتلاعب في وقفها الذي أوقفه صاحبها مما يؤدي الى اعراض الشيوخ عن التدريس فيها ومن ثم اهمال صيانتها وتعرضها لآثار الزمن والتخريب .

هذا ويحصي عبد القادر النعيمي في كتابه " الدارس في تاريخ المدارس " والذي حققه جعفر الحسني سنة ١٩٨٨م . الى أن هناك عددا كبيرا من المدارس بدمشق ، منها للشافعية ٦٣ مدرسة ، وللحنفية ٥٢ مدرسة ، بالاضافة الى مدارس أخرى فقهية وطبية ، ودور للقرآن ودور للحديث ، كما يقرر أن هذه المدارس ليست كلها قائمة في عصره ولكنه سجل لتاريخ قيامها وبيان أحوالها ، فيقول في مقدمة كتابه " فلما رأيت غالب أماكن الخير بدمشق اندرست وبعضها أخذت الأيام بهجتها ومن البقاع انطمست . سنح لي أن أشرع في جمع تراجم تحي لها ذكرا وأذكر تراجم المتصدرين بكل واحدة من حين أنشأت واحدا بعد الأخرى الى وقت ما أدركته حسبما أطلعت عليه في ذلك كله من كلام الأئمة وحسبما رأيته وحققته (النعيمي ، ١٩٨٨م ، ص ٣).

أما عبد الباسط العلموي فيذكر في كتابه " مختصر تنبه الطالب " إلى أن ما وصل إلى علمه من المدارس حتى المجهول له مثل الاكزيه ،والأمدية والأصفهانية ، والمنكلانية ، والمسرورية ، والقيمرية الصغرى والتي يذكر أنها مسكن الشيخ البقاعي الخطيب ، كما يذكر في كتابه أن المدرسة المسرورية أصبحت أثرا ، وعن المنكلانية أنها مدرسة ولكن لم نعلم لها مدرسا ولا واقفا (العلموي ، ١٩٤٧م ، ص ١٣)٠

والمدارس في دمشق في عهد المماليك تفردت بالمجد حيث الأوقاف الوفيرة بالمال ينتقي بهذه المدارس كبار العلماء من المقرئين والمحدثين والفقهاء والأطباء ولو رجعنا إلى القرون الأولى والتي تبدأ من القرن الخامس الى القرن العاشر الهجري لعلمنا من خلال كتاب " تنبيه الطالب وإرشاد الدارس" والذي إختصره عبد الباسط العلموي أنه كان في هذه المدينة العظيمة مايزيد عن مائة وخمسون مدرسة ٠ درس بها مايزيد على ألف عالم من كبار العلماء في الاسلام والذين تركوا بعد وفاتهم أثرا يذكر (النعيمي ، ١٩٨٨م ، ص ٦)٠ كذلك تفردت دمشق عن بغداد والقاهرة والقدس إلى تأسيس مدارس خاصة بالعلوم ومن بين هذه المدارس : -

(١) <u>مدارس القرآن الكريم :</u>

وهي دور أنشأت ليحفظ الطلبة فيها القرآن ويتلقوه على حرف أو أحرف متعددة ، وأول مدرسة أنشأت وأفردت للقرآن **دار الرشائية** وقد أنشأت في أوائل القرن الخامس وقد ذكر العلموي في كتابه " مختصر تنبه الطالب " أنه لم يبق لها أثرا وقامت مكانها الأخنائية ،ومن مدارس القرآن في دمشق كما ذكرها النعيمي مايلي : -

- مدرسة دار القرآن الخيضرية ٠ وقد إنقلب اليوم إسمها وتغير حالها وقد أصبحت الآن مسجدا٠
- مدرسة دار القرآن الجزرية ٠ ولم يبق لها أثر٠

- مدرسة دار القرآن الدلامية . وقد أصبحت مسجدا.
- مدرسة دار القرآن البخارية . ولم يبق لها أثر اليوم .
- مدرسة دار القرآن الصابونية ،والوجيهية . هذا بالاضافة الى مدارس لتعليم الحديث والقرآن معا مثل دار القرآن والحديث التنكزية ، والصبابية (النعيمي ،١٩٨٨م ، ص ١١).

وعلى هذا فإن نمو دور القرآن بدمشق كان متزايدا وقد بلغ ذروته في القرن التاسع أي في زمن المماليك ثم تعرضت بعضا منها للإندثار في زمن العثمانيين إما لخراب وقفها كالركنية ، وإما لاستيلاء الحكام عليه كالظاهرية الجوانية ، وإما لكون مدرسها صار من الاغراب كالمقدمية الجوانية والى غير ذلك من الأسباب (ابن طولون ، ١٣٨١ هـ ، ص ٢٠٩).

(٢) مدارس الحديث الشريف :

وهي دور أسست ليدرس فيها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أن هذه المدارس عامرة بأقوال السلف الصالح ومن هذه المدارس : -

- مدرسة الحديث الأشرفية . وكان الامام النووي ممن تصدروا للتدريس بها .
- مدرسة دار الحديث الأشرفية البرانية.
- مدرسة دار الحديث البهائية.
- مدرسة دار الحديث الحمصية .
- مدرسة دار الحديث العروية .
- مدرسة دار الحديث الناصرية . (النعيمي ، ١٩٨٨م ، ص ١٩)

(٣) مدارس الفقه :

كانت مدارس الفقه موزعة على المذاهب الأربعة بالإضافة إلى أن بعضها كان فيها مشيخة للقراء كالعادلية مثلا . ومن الملاحظ أن نمو مدارس القرآن

كان لايجاري نمو مدارس الفقه . فمدارس الفقه كانت تتزايد سريعا والسبب يرجع الى : -

(أ) التعصب المذهبي الذي دفع بعض المتحمسين لهذا المذهب أو ذاك الى كثرة المدارس الفقهية رغبة من أصحاب المذهب في نصرة مذهبهم ونشره .

(ب) متطلبات الحياة كالقضاء ووكلاء بيت المال وأصحاب المواريث والأوقاف .

فالشافعية كان لها بدمشق ثلاث وستون مدرسة نذكر منها : المدرسة البدرائية ، والمدرسة الأفية والركتية ، والشامية البرانية وكانت أكبر المدارس وأشهرها (النعيمي ، ١٩٨٨م ، ص ١٢٩).

أما الأحناف فقد كان لهم إثنتان وخمسون مدرسة منها مدرسة الجهاركية، والجوهرية ، والظاهرية ، والمدرسة النورية وهذه كلها كانت مشتركة بين الحنيفية والشافعية (النعيمي ، ١٩٨٨م ، ص ٤٧٣).

أما الحنابلة فقد كان لهم إحدى عشرة مدرسة منها : مدرسة الجوزية ، والشريفة ، الصدرية ، والعمرية وهي أكبر مدارس الحنابلة (النعيمي ، ١٩٨٨م ، ج ٢ ، ص ٢٩) .

وهناك مدارس آيضا للمالكية وكان عددها أربع مدارس منها : مدرسة الزاوية المالكية ، والصلاحية (النعيمي ، ١٩٨٨م ،ج ٢ ، ص ٣).

ثم انّ وظيفة المدارس تشبه إلى حد كبير وظيفة المسجد في ذلك العصر ، وقد كانت المدارس أكثر إستعدادا للدراسة المتصلة لسكن الطلاب المنقطعين للعلم ، وكان بالمدرسة غالبا خزانة كتب ينتفع بها الدارسون من معلمين وطلاب وباحثين ، بحيث تكون كتبها في متناولهم . أما ما يتعلق بالمعلم فقد شهد العصر المملوكي وأوائل العصر العثماني تخصصا دقيقا حيث كان يعين عادة لكل علم من العلوم أستاذا يقوم بتدريسه كما أن هناك تخصصا

في وظائف التدريس من أهمها : -

- المحدث . وهو المختص بمعرفة شيوخ الحديث في بلدة وما جاورها .
- شيخ الرواية . ومهمته تدقيق ألفاظ المحدثين .
- الحافظ . وهو الحافظ لكتاب الله والعامل على تحفيظه .
- المفسر . وهو المفسر لكتاب الله .
- المدرس . وهو الذي يلقي الدرس على الطلبة وعليه أن يفهمهم .
- المعيد . وهو الذي يعيد الدرس وهو الأستاذ الثاني للطالب .
- المفيد . وهو الذي يجمع الفوائد المستخلصة من الدرس والتي ربما غابت عن ذهن الطالب .
- المستفيد . هو الطالب ، وهو من يتلقى معلوماته من معلمه .
- الفقيه . وهو المختص بمسائل الفقه وهو دون المنتهى في الرتبة

هذا بالإضافة إلى بعض الوظائف كمشيخة القرآن ، وتلقين القرآن والواعظ ، ومعلم الكتاب ، وكاتب الغيبة (العلبي ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٨٠)

أما بالنسبة للأحوال المادية للمدرسين فلم تكن سيئة والسبب راجع الى أن المدرس كان يجمع بين عدة وظائف في تدريسه ، وقليل منهم من يلتزم بشرط الواقف في عدم الجمع بين وظيفته ووظيفة أخرى .

مواد الدراسة وأنواع العلوم :

إنّ العلوم التي كانت تقرأ - خلال - العصر المملوكي وأوائل العصر العثماني - وتثقف بها العقول كثيرة ، ولكن كانوا يتبعون نظاما في طرق التدريس ، فقد كانوا إذا تعددت الدروس قدم بعضها على بعض بحسب شرط واقفها أو قيمتها الأشرف فالشريف والأهم فالمهم ، فيقدم تفسير القرآن ثم الحديث ثم الفقه ثم أصول الدين ثم أصول الفقه ثم المذهب فالنحو فالجدل (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٥٥).

أما إبن طولون فيذكر أن من بين العلوم التي تثقفت بها العقول مايلي :

(١) العلوم الشرعية . وتشمل التجويد ، والقراءات ، والتفسير ، وعلوم القرآن ، والحديث ، وأصول الحديث ، والفقه ، والفرائض وأصول الفقه .

(٢) العلوم اللغوية : وتشمل النحو ، وأصوله ، والتصريف ،واللغة والعروض ، والقوافي ، والمعاني والبديع ، والبيان .

(٣) العلوم الدينية والتصوف : وتشمل الالهي ، والفلسفة والكلام والمنطق .

(٤) العلوم الطبيعية والعلمية : وتشمل التاريخ والحساب والهندسة والطبيعة والفلك والميقات ، ثم هناك علم الطب وهو أحد العلوم العلمية في ذلك الوقت (ابن طولون ، ١٣٦٨ هـ ، ص ٩) .

ولو تأملنا هذه العلوم التي أوردها ابن طولون والتي كانت تدرس في ذلك الوقت لاتضح لنا أن المناهج خلال العصر المملوكي وأوائل العصرالعثماني كان الطالب فيها محدودا في علوم الشريعة واللغة العربية ، بالاضافة الى بعض العلوم العقلية التي كانت غالبا ما تدرس في حلقات خاصة خارج نطاق المدرسة الموقوفة .

كما أن المناهج كانت مرتبطة بفلسفة المجتمع بشكل واضح وقد كانت السيادة للعلوم الشرعية وعلوم اللغة بالدرجة الأولى وذلك لارتباطهما الوثيق بالدين من الناحية وبالدولة وحياة الناس من ناحية أخرى . فمعرفة الشريعة الاسلامية من أسمى ماتهدف اليه التربية في ذلك الوقت ، باعتبار أن الاسلام كان هو الأساس في حياة المجتمع وقد نتج عن هذا التركيز على دراسة الشريعة الاسلامية وعلوم اللغة العربية أن تفرعت الدراسة الى أقسام كثيرة لها أساتذتها وكتبها . وكما هو واضح أيضا إرتباط بقية العلوم العقلية بعلوم الشريعة كذا فان معرفة العلوم الاسلامية مرتبط بغيره من العلوم ويحتم دراسة كثير من العلوم العقلية كالرياضيات بفروعها وغيرها من العلوم

العقلية والعلمية. ثم إن المناهج الدراسية لم تكن تهدف إلى إكتساب العلم النظري فحسب بل إهتمت بالتربية الروحية والدينية . فكان التعليم الديني عنصرا أساسيا في أي مدرسة تعليمية. بل كانت دراسة أحكام الاسلام ومقاصده فريضة لايليق بالمسلم المثقف أن يفرط فيها. ومن هنا كانت المدرسة دار علم ومسجد يؤمه جميع أفراد الشعب في أوقات الصلاة المفروضة، يستمعون أيضا الى دروس الوعظ والارشاد ومشاهدتهم لطلبة المدارس ومدرسيهم، وهذا كله من أعظم وسائل الاتصال وتعريفهم برسالة المدرسة التربوية.

ثالثا : البيمارستانات :

البيمارستانات كلمة فارسية تعني دور علاج المرضى وكانت أماكن لعلاج المرضى وفي نفس الوقت أماكن لدراسة الطب (مرسي ،١٣٨٦ هـ ،ص ٢٢٠)، ودمشق خلال العصر المملوكي وأوائل العصر العثماني شهدت عددا من مدارس الطب بدمشق مايلي : -

- المدرسة النخوارية والذي بناها الطبيب مهذب الدين دخوار والذي كان رئيسا للأطباء في مصر والشام ، ومن درس بها الطبيب العربي ابن النفيس تلميذ الدخوار.
- المدرسة اللبودية النجمية والتي أنشأها يحي اللبودي .
- المدرسة الدنيسرية وقد بناها الطبيب عماد الدين الدنيسرية (النعيمي ، ١٩٨٨م ، ص ١٢٧).

أما البيمارستانات التي كانت بدمشق وكان يشرف عليها أطباء المدارس السابقة وتلاميذهم فهي : - البيمارستان الصغير ، البيمارستان القيمري، البيمارستان النوري ، ويقع جنوب العصرونية وهو أشهرها (العلبي ،١٤٠٢هـ ، ص ١٧٧) .

رابعا : الخوانــــق :

الخوانق : مفردها : خانق أو خانقة ، وجمعها خوانق ،وخانقــــاوات وهي كلمة فارسية معناها في الأصل المكان الذي يأكل فيه الملك – وقيــــل بيت ينقطع فيه الصوفية للعبادة والذكر (المقريزي ،د٠ت ،ج ٣ ، ص ٣٩٩) فالخوانق امتازت باتساعها وبكثرة من آوى اليها من الصوفية وفقرائهم وقـد يكون بعض منهم على علم وبصيرة وفقه بالدين وما يتصل به ٠ ووجوده فــــي الخانق ايذانا منه بنشر العلم وبث أحكام الشريعة ، كما أن الخوانق أحـد دور ومؤسسات التعليم في ذلك العصر فقد رتبت فيها الدروس في المذاهـــب الأربعة وفي الحديث فشابهت بذلك غيرها من المساجد والمدارس ٠ ثم أن سليـم (١٣٦٨ هـ) ذكر أن الفارق بين الخوانق والمدارس هو " أن اللاجئيـن فــــي الخوانق ينقطعون للعبادة والتأمل مما يجعلها تنجب – أو يتخرج منهـــا – علماء أجلاء يجمعون بين التصوف العلمي والعملي ويكونون ذو ي خبرة وبصيرة بأحكام الشريعة وبغيرها " ص ٦٠ ٠ والحقيقة أن الانقطاع الى العبادة وترك الاشتغال عن تحصيل الرزق أمر لا يقره الاسلام ولم يعرفه المسلمون الأوائـل ٠

خامسا : الربــــاط :

والرباط مفرد وجمعها أربطة ٠ وهي في الأصل إسم حربي للثغر الــذي يرابط فيه الجنود لمجاهدة العدو ، ثم إنتقل إلى معنى آخر وهو كما ذكره (عبدالدائم ،١٩٧٣م) أنه " الملجأ أو المأوى الذي يلجأ اليه العلمـــــاء الرحالون وطلاب العلم الذين ينتقلون في أرجاء العالم الاسلامي " ص ١٥٥ ، ويقيم فيه أيضا المتصوفة لمجاهدة النفس هذا وذكر العلبي (١٤٠٢ هـ) أن " بدمشق ثلاث وعشرون رباطا " ص ١٧٨ ٠

سادسا : الزوايا :

والزوايا : مفردها زاوية . والزاوية ركن الدار ثم أصبحت تطلق على الدار الصغيرة . والزوايا تختلف عن الخوانق فذكر الطنطاوي (١٣٨٦ هـ) أنها : " مكان في المسجد يتخذه الطلبة للنسخ والانفراد عن إزدحام الناس وهي في جملة مرافق الطلبة " ص ٧٢ ، كان عدد الزوايا بدمشق كثير وقد ذكر العلبي (١٤٠٢ هـ) أن بدمشق " تسعاوعشرون زاوية " ص ١٧٨ ، فالزوايا وهي أحد دور العلم شاركت الخوانق والربط في إنتشار حركة التعليم ونشاطه وذلك بمقدار العلم الذي كان يلقى بالمدارس الخاصة ويعرف ذلك من أن العلم الذي اشترطه الناس في الفقيه كان يظهر أكثر من العلم الذي إشترطوه في الفقير أو المتصوف (النباهين ، ١٩٨١م ، ص ٢٦٨).

سابعا : المكتبات :

حفلت مدينة دمشق بعدد لابأس به من خزائن الكتب والمكتبات لعل من أهمها مايلي :

(١) المكتبة الظاهرية :

وهي من أثمن المكتبات التي تحوي عددا كبيرا من نفائس المخطوطات وقد جمعت هذه المكتبة من عشر مكتبات وهي كما ذكرها كحالة (١٣٩٤ هـ) " مكتبة المدرسة العمرية ، مكتبة عبدالله باشا العظم ، مكتبة سليمان باشا العظم ، مكتبة الملا عثمان الكردي الباغوشية ، مكتبة الأوقاف ، مكتبة بيت الخطابة " ص ٢١٧ .

(٢) المكتبات الخاصة :

* مكتبة يوسف بن حسن بن عبدالهادي سنة ٩٠٩ هـ .
* مكتبة فضل الله الاسطواني الدمشقي المتوفي سنة ١١٠٠ هـ .
* مكتبة خير الدين الرميلي المتوفي سنة ١٠٨١ هـ والذي خلف مايزيد

عن ألف ومائتي مجلد معظمها من نفائس المخطوطات في شتى العلوم ٠

* مكتبة درويش محمد الطالوي الأرتقي المتوفي سنة ١٠١٤ هـ (كحالة ، ١٣٩٤ هـ ، ص ٢١٨)٠

(٣) مكتبات الجوامع والمساجد والمدارس :

كانت هذه المؤسسات تؤدي وظيفتها في نشر العلم بجانب كونها مكان للعبادة والدرس لم تقتصر على ذلك بل كان لها مكتبات تحوي العديد من الكتب في جميع العلوم ومن أشهر هذه المكتبات مكتبة الجامع الأموي بدمشق (العلبي ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٦٦)٠

الأوقاف والحياة الثقافية والعلمية :

لايمكن لعمل من الأعمال الخيرية كالمساجد والمدارس والخوانق وغيرها من المؤسسات التعليمية أن تبقى وتؤدي واجبها كاملا دون أن توجه اليه عناية ورعاية ودون أن ترصد عليها أوقاف أو ترصد لها أموال خاصة بها تهيء لها استمرار حياتها ٠

هذا ولقد إرتبطت الأوقاف بالحياة العلمية عن طريق إرتباطها بالحياة الدينية في تدعيم وبناء المساجد والجوامع وتمكينها من أداء رسالتها وإنتشار العلوم الدينية حيث كانت تلقى الدروس بالمساجد٠ فالأوقاف لها أهمية خاصة بالنسبة للتعليم حيث أن المنفعة التي يحصل عليها من الأوقاف الموقوفة على المدارس هي ضمان إستمرار العمل بها٠ فالأوقاف مصدر رئيسي لتمويل الحركة العلمية حيث كان الأمراء والشعب على حد سواء يساهمون في ذلك وكانت هذه المساهمة مجالا للمنافسة وحب الظهور بين السلاطين والأمراء وغيرهم من أصحاب الأموال ٠ ثم إن الأوقاف إنتشرت وتوسعت في العصر المملوكي حيث شملت قسما غير قليل من الأراضي والعقارات داخل دمشق وخارجها٠

ومما يذكره أمين (١٩٨٠م) من أن " الدولة في العصر المملوكي كانت تعتبر هذه الخدمات للناحية التعليمية من وجوه البر ، حيث أن المنفعة المترتبة على الوقف هي مرتبات أرباب الوظائف بالمدرسة والطلبة حسب شروط الواقف " ص ٢٣٢ ، والوقف كما أنه مصدر رئيسي لتمويل الحركة العلمية إلا أنه على ثلاثة أنواع هي :

(١) وقف الذرية : أي حبس الأملاك على ذرية المتوفي وهذا النوع ليس له علاقة بالحركة العلمية.

(٢) الوقف والخوانق وأماكن البر الأخرى وهو الذي يشكل المورد الرئيسي لطلبة العلم والعاملين عليه . وكانت الرغبة في الثواب هي الدافع الأول لهذه الأوقاف لأن الانفاق على طلبة العلم في الاسلام هو أفضل أنواع الإنفاق .

(٣) الوقف المشترك : وهو مايخصص فيه الأملاك للورثة ومن بعدهم لوجوه الخير.

ولكي يتصف الوقف بالصفة الرسمية لابد أن يوثق بالمحكمة الشرعية حيث تتضمن هذه الوثيقة نوع الأملاك الموقوفة ، وشروط استثمارها وتعيين الناظر على الوقف ومساعديه ، شروط الواقف حيث يبين فيها رغبته في نوع العلوم التي تدرس في مدرسته ، وعدد المدرسين والاداريين والطلبة ورواتبهم وجوائزهم بعدما يختم الوقف بقوله تعالى : **﴿ فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه ﴾** (البقرة : ١٨١) ، وبالإضافة إلى ذلك شروط أخرى وهي : أن لا يؤجر أكثر من ثلاث سنوات ، أن لا يؤجر لذي شوكه ولا يباع ولا يوهب ، أن لايملك ولا يورث ولا يبدل ، ثم يوقع عليه الشهود ويثبت في المحكمة الشرعية (العلبي ،١٤٠٢ هـ ، ص ص ١٦٢ - ١٦٣).

إزدهرت الأوقاف وكثرت في العصر المملوكي حتى أصبح أهل الأوقاف يشترطون شروطا خاصة يجب أن تتوفر في المدارس ، وفي طريق التدريس

وفي اعداد الطلبة الذين يتلقون العلم في المدرسة وفي مواعيد الدراسة والاجازات وإنشاء خزانة كتب في كثير من المدارس يرجع إليها كل من المدرسين والطلاب وقت الحاجة (أمين ، ١٩٨٠ م ، ص ص ٢٤٣ – ٢٥٥). وكما أن الوقف أصبح موردا يحقق الحركة العلمية في العصر المملوكي إلا أنه حمل في طياته بذور تدهور في نهاية هذا العصر حيث لم يتقيد بكتبه كثيرا فقد كانت الأوقاف تباع وتؤجر ويضم النظار أموالها الى أموالهم. ولهذا فان لجان تأتي بين الحين والآخر من القاهرة للكشف عن الأوقاف ومنع التلاعب فيها (العلبي ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٦٤).

هذا وقد أشار بعض المؤرخين أن من كتب الوقف الهامة كتاب وقف " المدرسة العمرية بالصالحية " وهو منقوش على واجهتها . وفي وقف (التربة المنجكيه) خصص للامام خمسة وأربعين درهما وللبواب ستون درهما، ولكل قارىء خمسة عشردرهما ، وللأيتام خمسمائة درهم لكسوتهم ، وخمسون درهم ثمن الحبر والأقلام وثلاثون درهما في الشهر لمحصل الوقف (ابن طولون،١٣٨١هـ، ص ١٤٩).

وما إن جاء الفتح العثماني سنة ٩٢٢ هـ وما صحبه من ظروف سياسية واقتصادية وما أُستحدث من نظم ساهمت إلى حد كبير في القضاء على الدور الكبير الذي قامت به الأوقاف الخيرية في عصر المماليك . وما إن أهملت هذه الأوقاف حتى إمتدت أيدي الناس والظلمة إلى بيع رخامها وأبوابها وشبابيكها إلى أن آل بعض تلك المدارس الضخمة والمباني الجميلة إلى زاوية صغيرة تكون مغلقة في أغلب الأيام .

وأعتقد أن تخلي الأوقاف فجأة – نتيجة لظروف الفتح العثماني – دون وجود بديل يقوم بدورها في المجتمع ، يعتبر من العوامل الأساسية والهامة التي كانت سببا فيما شهدته البلاد من تدهور ولاسيما في الناحية العلمية والثقافية .

نظـام الـدراسـة :

كان قبول الطلاب بالمدارس لم يتحدد بسن معينة أو مستوى معين من المدرسة بل إن المدارس فتحت أبوابها لكل طالب علم دون أن تشترط لدراسته شروطا وإنما إستعداد الطالب ورغبته في الدراسة وتقبل العلم. ومن حق الطالب أن يختار أستاذه الذي يدرس عليه ، والمادة أوالمواد التي يرغب في دراستها ، قال العلموي (١٣٤٩ هـ) " ينبغي للطالب أن يقدم النظر ، ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه ، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه ، وليكن ممن كملت أهليته ، وظهرت ديانته ، وتحققت معرفته ، وعرفت عفته واشتهرت صيانته وسيادته ، وظهرت مودته ، وحسن تعليمه ... فعن السلف : هذ العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم " ص ٦٣ .

هذا وقد جرت العادة أن أول ما يتعلمه الصبيان تلاوة القرآن وحفظه ثم بعد أن يقطع الطالب شوطا في حفظ القرآن الكريم يأتي معلم الخط فيعلمهم بكتب الأشعار وسواها حتى يستقيم خطهم. ثم بعد تحسين الخط والحفظ للقرآن ينقل لتعليم الحديث والعقيدة . ثم إنّ من نبغ في هذه العلوم التي يمكن تسميتها بعلوم المرحلة الابتدائية ينتقل الى المرحلة التي تليها ، أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة التعليم العليا وفيها يدرس الطلبة أمهات الكتب في كل العلوم التي كانت معروفة ومن ثم يشرع في التأليف ويتصدى للتدريس والمناظرة (ابن بطوطة ، ١٣٨١ هـ ، ص٥٦).

كما جرت العادة أيضا أن يعقد مجلس أو تعمل وليمة عندما يختم أحدهم كتاب أو يؤلفه . فقد ذكر لنا الرحالة إبن بطوطه (١٣٨١ هـ) " أن شيخ الاسلام ابن حجر لما فرغ من شرحه على البخاري أقام وليمة حافلة خارج القاهرة وكان مصروفها خمسمائة دينار " ص ٧ .

أما المنهاج فقد كان الغالب عليه علوم الشريعة واللغة العربية بالإضافة إلى بعض العلوم العقلية والذي سبق أن تحدثنا عنه في أنواع

العلوم وهو قائم على إختصار تراث السلف ودراسة مصنفات الماضين وشرحها .

طرق التدريس :

تعددت طرق التدريس تبعا للمراحل التعليمية فشملت :

(١) طريقة التلقين والحفظ والتسميع : حيث كان التلميذ يحفظ مايلقى اليه من سور القرآن الكريم . يرافق ذلك معرفة الحروف وضبطها بالشكل ويتدرج في معرفتها حتى يألفها طبعا .

(٢) طريقة التكرار والتسميع : وتتلخص في أن المعلم أو العريف يقرأ قدرا معينا من القرآن الكريم يردده الأطفال خلفه لعدة مرات حتى يتم لهم الحفظ .

(٣) الحلقات الدراسية في الجوامع والمدارس ، وصورتها : أن يجلس الشيخ مستقبل القبلة في مكان بارز لجميع الحاضرين ويلتفت اليهم بحسب الحاجة ويقرأ درسه على طلبته الملتفتين حوله (النباهين ، ١٩٨١م ، ص ص ٣٦٢ – ٣٦٣) .

وتنظم الحلقات طبقا للمواد التي تدرس ، ويجلس أستاذ المادة من فقه أو حديث أو تفسير ، آو نحو ذلك من نحو أو أدب أو منطق أو غيرها ،في المكان المخصص له وأمامه الطلبة يصغون اليه ويناقشونه فيما يعن لهم وهذه الطريقة تجمع بين طريقة الالقاء ، والمحاضرة والتسميع ، وطريقة المناقشة كما أن الطالب له مطلق الحرية في الاستفسار عما يريد بل إن المدرس يساعده على ذلك ويشجعه على إستخراج مايدور في نفسه من تساؤلات (النباهين ، ١٩٨١م ، ص ٣٦٧) . وهذه الطريقة أو الأسلوب في التدريس تهدف إلى أن الفهم هو الأمر المستهدف من هذه الطريقة .

(٤) طريقة الاملاء . وهذه من أقدم الطرق التعليمية في تاريخ التربية الاسلامية وتتلخص هذه الطريقة في إجتماع أعداد من طلبة العلم

في المسجد أو المدرسة وعلى رأسهم المملى - المعلم - الذي يملى عليهم من حفظه عادة ٠ أو ربما يقل عدد طلبة العلم الى أن يصل الى واحد فيملى أحدهما على الآخر أي - المعلم على الطالب - من حفظه أو من كتاب هذا وقد يحدد يوما واحدا في الأسبوع لدرس الاملاء وفي الأيام الأخرى يقرأ الطلبة ما كتبوه (السمعاني ، ١٩٥٢م ، ص ص ١٥ - ٢٣) ٠ كما أنه يجب على الطالب أن يصحح ما كتبه قبل حفظه تصحيحا متقنا اما على الشيخ (المعلم) أو على غيره ٠

ثم إن طريقة الإملاء كانت الحاجة اليها هو ندرة الكتاب في النهضة العلمية الاسلامية ثم تناقصت في العصور الاسلامية المتأخرة٠ وهذا مادعا السيوطي المتوفي سنة (٩١١ هـ) في آخر عصر المماليك أن يترحم على الحافظ العراقي الذي أحيا الله به سنة الاملاء بعد أن كانت داثرة ٠٠ وهذه الطريقة يتضح أنها كانت تعتمد على التكرار في الحفظ ، كما كان يصاحب طرق التدريس خلال ذلك العصر - المملوكي ، وأوائل العصر العثماني - توجيهات تربوية تنبه اليها بعض علماء التربية كابن جماعة ، وابن خلدون والامام عبد الباسط العلموي ، وهذه التوجيهات تدعوا الى : -

- ترغيب الطلبة في الحصول على العلم في معظم الأوقات وذلك بأن يوضح لهم المعلم ما أعد الله للعلماء من كرامات وفضائل (العلموي، ١٣٤٩ هـ ، ص ٤٦)٠
- إستخدام الوسائل المعنية على التدريس بقدر الامكان وذلك بأن يبدأ المدرس بتصوير المسائل ثم يوضحها بالأمثلة وذكر الدلائل (ابن جماعة ، ١٣٥٤ هـ ، ص ٥٢)٠
- طرح الأسئلة الاسترجاعية بعد الانتهاء من عرض الدرس حيث يقول العلموي (١٣٤٩ هـ) " اذا فرغ من شرح درس فلا بأس بطرح مسائل تتعلق به على الطلبة ، وإعادة ذكر ما أشكل منه ليمتحن فهمهم

وضبطهم لما شرح لهم . فمن ظهر إستحكام فهمه شكره ، ومن لم يفهم تلطف في إعادته " ص ٥١ .

- ضرورة توجيه التلميذ إلى ما يناسب قدراته وميوله ، فاذا رأى المدرس أن أحد من تلاميذه لايستطيع إستيعاب علم من العلوم كان من واجبه أن يصرفه إلى علم آخر . وإذا علم أن تلميذا لا يفلح في علم آشار عليه بتركه والانتقال الى غيره مما يرجى فيه فلاحه (ابن جماعة ، ١٣٥٤ هـ ، ص ٥٧).

- أدرك المربون في عصر دولة المماليك وأوائل العصر العثماني أهمية التدرج في التعليم وتقريب المادة العلمية في ذهن المتعلم شيئا فشيئا . فقد ذكر ابن خلدون (د.ت) بقوله : " أعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدرج شيئا فشيئا وقليلا قليلا . يلقى عليه أولا مسائل في كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ، ويقرب له في شرحها على سبيل الاجمال ، ويراعى في ذلك قوة عقله وإستعداداته لقبول مايرد عليه حتى ينتهي إلى آخر ذلك الفن ... " ص ٥٠٢ ، كذلك نبه إلى ضرورة المحافظة على وحدة المادة الدراسية وتتابع تعليمها في فترات متقاربة كي تبقى في مجال الذاكرة فقال " ينبغي لك أن لاتطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع مابينها ، لأنه ذريعة إلى النسيان " ص ٥٠٣ .

المستوى التعليمي :

لقد كان المستوى التعليمي للطلاب حسنا حيث كان الطلاب يقدمون نتائج باهرة في السنوات الأولى من حياتهم وذلك في الحفظيات . فمثلا ابن طولون يقول إنه حفظ القرآن الكريم وصلى به في الجامع الأموي سنة ٨٧٨ هـ وكذلك غيره من الطلاب الذين برزوا في الحفظ للقرآن وفي السنوات الأولى من أعمراهم (ابن طولون ، ١٣٨١ هـ ، ص ٧).

ومع أن المناهج كما ذكر الكيلاني (١٤٠٥ هـ) خلال العصر التاسع والعاشر " قائم على إختصار تراث السلف ودراسة مصنفات الماضين شرحها ... وأن مايبهر العلماء أن يحفظ العالم أو الدارس الشروح المذكورة لذا فقد أدهش علماء دمشق أن محمد بن محمد المتوفي سنة ٩٤٧ هـ كان يعرف علم النحو والصرف ، ويحفظ شرح التلخيص وشرح الطوالع وشرح المواقف وشرح المطالع الى أن وصفوه بأنه كان من مفردات الدنيا " ص ٢٣٤ .

ومن هنا فان نظام التعليم الداخلي والذي كان سائدا خلال العصر المملوكي وأوائل العصر العثماني يشير الى أنه أعطى مردودا طيبا ،فمثلا : لو نظرنا الى مبدأ الثواب والعقاب الذي كان مطبقا على طلبة العلم خلال هذا العصر ، وتخصيصهم بزيادة رواتب بعض الطلاب أو إعطائهم جوائز تشجيعية أو تقديم لهم الحلوى لأعطى فكرة حسنة عن المردود العلمي الحسن الذي كان يقدمه الطلبة في مراحل حياتهم الأولى خلال هذا العصر. ثم إنه في أواخر عصر المماليك وأوائل العصر العثماني كانت الطريقة المتبعة هي تخريج عدد من حفظة العلوم وهذا هو عيبها ، فالمردد لكلام غيره والحافظ له دون إبداع وتجدد أدى إلى ركود وإنتشار المختصرات في كثير من التأليف.

حركة التأليف والمؤلفين :

لم يحدث ما يعرقل مسيرة الناحية العلمية أو يؤثر في حيويتها وبالأخص في العصر المملوكي بل كانت منيعة الجانب ولكن بوادر الضعف في اللغة العربية وغيرها من العلوم بدأت تظهر في أواخر العصر المملوكي وأوائل العصر العثماني . ومن هنا أشار كحالة (١٣٩٤هـ) أن علماء هذا العصر " اهتموا بدراسة علوم اللغة كوسيلة من وسائل القرآن فألفوا في اللغة ، والنحو والصرف ، والبلاغة والعروض وغيرها ، وشهدت بلاد الشام حركة نشيطة في التاريخ والتراجم " ص ١٥٩ . كما أنه ظهر في أواخر عصر المماليك مجموعة من العلماء الذين كتبوا كغيرهم في مختلف الفنون ، وذاعت شهرة بعضهم لأنهم كتبوا عن دمشق ومن هؤلاء :

(١) يوسف بن عبد الهادي . ويعرف بابن المبرد المتوفي سنة ٩٠٩ هـ وقد ترك مجموعة من الكتب المخطوطة في مختلف الفنون بعضها في وريقات وبعضها في مئات الصفحات ، وبعضها موجود بخط يده في المكتبة الظاهرية بدمشق وكان أستاذا لابن طولون ، إستفاد كثيرا من مؤلفاته فزاد عليها ونسبها اليه .

(٢) علاء الدين البصروي . وكان نائبا للقاضي الشافعي ولكنه كتب في تاريخ دمشق كتابا نقل منه ابن طولون في كتابة مفاكهة الخلان وقد عثر على مسودة هذا الكتاب في القاهرة توفى بعد سنة ٩٠٤هـ. والى جانب هؤلاء عرفت دمشق مجموعة آخرى من العلماء منهم ابن رزيق وكان من علماء الحديث ، أبو الفتح المزني ، وجمال الدين ابن طولون ، وبرهان الدين الحنفي وغيرهم (العلبي ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٦١).

وما إن امتد العصر العثماني وتجاوز بداية نشاطه في بداية الدولة حتى إنحطت حركة التأليف والمؤلفين عما كانت عليه في العصر المملوكي حيث ساء ترتيبه وتبويبه ، وأصبح تطويلا لموجز واختصار لمطول وخبت فيه شعلة التفكير والنبوغ التي كانت تظهر وتختفي في الكتب التي ألفت في عصر المماليك (كحاله ، ١٣٩٤ هـ ، ص ١٥٣).

أما أوائل العصر العثماني فقد شهد عناية المؤرخين بترجمة أعلام العصر نفسه المعاصرين لهم وغير المعاصرين يقرأ المرأ فيها حياة هذا العصر من أوله الى آخره . ومن أمثلة ذلك كتاب (الكواكب السائرة) لنجم الدين الغزي والمتوفي سنة ١٠٦١ هـ ترجم فيه مشاهير القرن العاشر ، وقبله وضع السخاوي المتوفي سنة ٩٠٢ هـ كتابه (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع) ترجم فيه مشاهير القرن التاسع . كما برز من علماء القرن العاشر من نظم مؤلفات السلف في قصائد شعرية اذ يفتخر نجم الدين الغزي بأن جده لأبيه محمد بن محمد الغزي المتوفي سنة ٩٣٥ هـ قد نظم عقائد الغزالي وعقائد

لبعض الحنيفية ونخبة الفكر لابن حجر في علم الحديث بالاضافة الى مؤلفات منها : الدرر اللوامع ، نظم جمع الجوامع ، وألفية في التصوف سماها الجوهر الفريد ، وألفية في اللغة ، وألفية في الطب (الغزى ، ١٩٤٩م ، ص ٥).

وخلاصة القول ان التعليم خلال عصر المماليك قد انتشر وساعد على ذلك محبة المماليك للعلم والعلماء وتشجيعهم له وبناء المؤسسات التعليمية المتمثلة في المسجد والمدارس والخوانق والزوايا والربط . كما ان كثرة الأوقاف التي كانت كمصدرا أساسيا لتمويل الحركة العلمية ساعد أيضا على نشاط الحركة العلمية ، ولكن شهد أواخر العصر المملوكي وأوائل العصر العثماني توقف في الحركة العلمية حيث إقتصر على : قراءة تراث السلف والشروح التي برزوا فيها ، الاهتمام بالجمع والشروحات والمختصرات في التأليف .

هذا هو الجو العلمي الذي نشأ فيه عبدالباسط العلموي وهذه صورة للحياة العلمية التي كانت تسود عصره رحمه الله . ومن المتوقع هنا أن يشارك الامام العلموي في الحياة العلمية بتراثه العلمي ومؤلفاته التي بقيت مشعل ضياء للأجيال اللاحقة ساعده في ذلك إقامته بالمسجد " الجامع الأموي " وكان به عدد من المدارس والعلماء ثم إنّ الاقامة بالمسجد لها آثار إيجابية في شخصيته إذ أنها أورثته الصدق والاخلاص ، وحسن العمل والمعرفة على أيدي العلماء المعاصرين له وملازمته لهم مثل محمد بدر الدين الغزي وغيره ،كما ان مؤلفات الامام عبدالباسط العلموي والتي سبق ذكرها وبعض معاصريه ممن نهجوا في المختصرات والشروح وكونها ليست مبدعة الا أن لها تمام الفضل في حفظ التراث الفكري بالنظر لاعتمادها على مصنفات السابقين التي فقد منها الكثير .

ونخلص من مناقشة الفصل الأول الى : -

(١) عاش الامام العلموي خلال القرن العاشر في بلاد الشام وأدرك أواخر العهد المملوكي وأوائل العصر العثماني .

(٢) شهدت البلاد خلال هذه الفترة عددا من الفتن والحروب وعدم الاستقرار بسبب سوء القيادة والتغيرات السريعة في الحكم خلال العهد المملوكي والانشغال بالفتوحات وجمع الضرائب خلال الحكم العثماني .

(٣) امتازت الحياة الدينية خلال هذا العصر بالاستقرار وقلة المذاهب الدينية .

(٤) ساد المجتمع خلال هذه الفترة النظام الطبقي القائم على تقسيم المجتمع الاسلامي الى الطبقة الحاكمة ، والتجار ، والعلماء ، والعامة . وكل طبقة لها مميزاتها وآثرها في المجتمع .

(٥) شهدت دمشق - التي عاش فيها الامام العلموي - حركة علمية وتأسيس مدارس خاصة بالعلوم وذلك خلال الحكم المملوكي ، حيث بلغت ذروتها في القرن التاسع وذلك بسبب الدور الذي تقوم به الأوقاف الخيرية من تمويل للناحية العلمية .

(٦) قلة الموارد الاقتصادية نتيجة الفتح العثماني ، والقضاء على الدور الذي قامت به الأوقاف الخيرية . كل ذلك كان له الأثر في التدهور الذي شهدته البلاد وخاصة في الناحية العلمية .



الفصل الثاني

الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المعلم عند الامام العلموي

* ويشمل هذا الفصل على : –

- المعلم وأهميته ومكانته .
- الآداب التي يختص بها المعلم وتمثل :

(١) خصائص يختص بها المعلم في نفسه .
(٢) خصائص ينبغي توفرها أثناء تعامله مع طلابه .
(٣) خصائص ينبغي مراعاتها عند القيام بعملية التدريس .

المعلم أهميته ومكانته :

إرتبط وجود المعلم من قديم العصور بوجود عملية التعلم فبدونه لايمكن أن يكون هناك مايسمى عملية تعليمية ولكونه يهدي الأجيال الحالية والمقبلة الى طريق الخير والصلاح ، ويبث فيهم المبادئ الدينية والخلقية والوطنية ، وينشر بينهم العلم والمعرفة ٠ ولذا كان للمعلم مكانة تعين أبناء العصور المختلفة تعلوا أحيانا وتحط حينا آخر حتى جاءت الشريعة الاسلامية ورفعت من قدر المعلم ، ومن أبرز الشواهد التي تدل على هذه المكانة قوله صلى الله عليه وسلم : " إنّ الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير٠ (الترمذي ، د ٠ ت ، ص ١٥٤) ، وما كانت له الأهمية الا لدوره الذي يمكن تلخيصه فيما يأتي :

(١) المعلم هو الصانع الذي تعهد اليه الأمة شرف تنمية شخصية أبنائها تنمية متكاملة متزنة ، وذلك من خلال قدرته على التأثير فيهم سلبا أو إيجابا وقد أشار جيمس جالجر(١٩٦٣م) الى أن " المعلم هو حجر الزاوية في العملية التربوية ـ التعليمية ـ والمسئول عن آثمن ثروة يملكها المجتمع ألا وهي الخدمة البشرية " ص ٧ ٠

(٢) المعلم هو الموجه الحكيم الذي يعني بتربية وتوجيه تلاميذه للمساعدة في تطوير المجتمع ضمن إطار السياسة التعليمية للدول ، والأهداف التربوية النابعة من تعاليم الاسلام السمحة ، هذا ومن التوصيات الصادرة عن مؤتمر التربية الدولي الخامس والثلاثين أن " المعلم هو رجل تربوي وصاحب مشورة ، يحاول تطوير اهتمامات وقدرات التلاميذ ، وليس مجرد مصدر للمعلومات أو ناقل للمعرفة " (التوثيق التربوي ، ١٣٩٩ هـ ،ص ١٥٣)٠

(٣) المعلم يلعب دورا أساسيا في العمل المدرسي ، لأنه أكثر أعضاء المدرسة إحتكاكا بالتلميذ وأكثرهم تفاعلا معه فالمعلم هو العنصر الفعال في عملية التعليم وهو أيضا أحد الأركان الأساسية في العملية التعليمية ٠ فعلى قدر ما يحمل في رأسه من علم وفكر وما يحمل في قلبه من إيمان برسالته ومحبة تلاميذه ،وما أوتي من موهبة وخبرة في حسن طريقة التعليم يكون نجاحه وأثره في أبنائه وطلابه (القرضاوي ، د ٠ ت ، ص ١١٠)٠

(٤) المعلم قدوة صالحة ومثالا يحتذى لما يمتلكه من قيم وأخلاق ولما يتوفر في شخصه من صفات حميدة ، وليس مجرد موظف يتقاضى راتبا من الدولة كما ينظر اليه اليوم ، بالاضافة الى أن المعلم الصالح عوضا عن ضعف المنهج وضعف الكتاب وكثيرا ماكان المنهج والكتاب معا ٠ لكونه المعدل والمصحح والمعوض عن كل نقص في هذا الكتاب ٠

(٥) المعلم هو المنفذ والموصل للمعلومات والمكتشف لما يملكه طلابه من مهارات وقدرات خاصة ، والمسئول عن توجيهها٠

ومن هنا تتحدد وظيفة المعلم في أن يخلق أفضل الظروف ملائمة لعملية التعليم والتعلم ، وأن يساعد التلاميذ على مواجهة مشكلاتهم والتوصل الى القرارات الصحيحة ٠

كما يجب عليه أن يحدد موقفه ليواجه مطالب التلاميذ الكثيرة ويرضي حاجاتهم وهذا ماذكره الامام العلموي حين أوص المعلم بمراعاة الخصائص التالية :

- خصائص يختص بها المعلم في نفسه ٠
- خصائص ينبغي توفرها أثناء تعامله مع طلابه٠
- خصائص ينبغي مراعاتها عند القيام بعملية التدريس ٠

وفيما يلي عرض لأهم الخصائص التي يجب أن يتحلى بها المعلم :

أولا : الخصائص التي يختص بها المعلم في نفسه :

(١) أن يكون مؤهلا للقيام بعملية التدريس :

يرى العلموي (١٣٤٩ هـ) أنه : " يتعين على طالب العلم أن لاينتصب للتدريس حتى تكتمل أهليته ، ويشهد له بذلك صلحاء مشايخه " ص ٤٤٠ ولذا فانه يتطلب من المعلم أن لا ينتصب للتدريس قبل كمال أهليته لأنه قد يعرض نفسه الى ما لا تحمد عقباه من الفشل والهوان ، ففي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " المتشبع بما لا يعط كلابس ثوب زور " (العلموي، ١٣٤٩ هـ ، ص ٤٤) ٠ وقال الشلبي (١) " من تصدر قبل أوانه تصدى لهوانه " وعن أبي حنيفة رضي الله عنه :" من طلب الرئاسة في غير حينه لم يزل في ذل ما بقى " (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٤٤)٠

وقد اهتم العلموي كغيره من المربين المسلمين بضرورة الاعداد الثقافي للمعلم والذي به يكون أهلا لعملية التدريس ولكنه لم يحدد الأطر اللازمة لاعداده والتي يجب أن يوضح لها برامج منظمة في المعاهد وكليات إعداد المعلمين ، تشمل العلوم الانسانية والدراسات الاجتماعية والتربية البدنية والتاريخ وعلم النفس العام ٠

وعلى هذا يرى الباحث أن عملية إعداد المعلم تعد مطلبا أساسيا لتقدم العملية التربوية لكون تلك العملية هي التي تؤهل المعلم للقيام بعمله على أكمل وجه ، وبدونها يكون المعلم غير قادر على أداء عمله على الوجه المطلوب ، وقد قيل : فاقد الشيء لا يعطيه ٠ فالمعلم غير المؤهل

---

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ، تحقيق د٠ احسان عباس ٠ بيروت ١٩٦٩ م ، من ص ٢٧٣ - ٢٧٦ ٠

لما يلقيه على الطلاب سيكون عالة عليهم وسينعكس ذلك بصورة واضحة على تحصيل طلابه وإستفادتهم منه٠

(٢) أن يقوم بالتعليم دون مقابل مادي :

يرى العلموي (١٣٤٩ هـ) كغيره من المربين المسلمين أن العلم ليس وسيلة للتكسب فيعطي لمن أعطى مالا ، ويمنع عمن لم يعط مالا ، أولم يستطع أن يعطي فقال : على المعلم " أن لا يطلب على تعليمه أجرا ولايقصد به جزاءا ولا شكورا " ص ٤٤ ٠ كما يرى أيضا أنه لايجوز حمل العلم وطلبه طمعا في تحصيل مال أو شهرة أو سمعة أو تمييز عن الأشياء (العلموي ،١٣٤٩هـ،ص٢٦)٠

والواقع أن هذه القضية مرتبطة بظروف العصر الحديث ، حيث أن الوضع القائم في عصرنا يختلف عن عصر كل من الامام الغزالي والماوردي وابن جماعة وغيرهم من علماء المسلمين الذين لايجيزون للمعلم آخذ الأجرة على التعليم والتي ربما يكون رأيهم في ذلك مبني على ما اتصفوا به من التصوف والذي يقوم أساسا على الزهد في الدنيا ٠ أما عصرنا الحاضر فقد أنشأت مؤسسات تعليمية شملت مدارس تربوية متعددة يقوم عليها معلمون متخصصون ومتفرغون لهذا العمل ، بالاضافة الى كثرة التخصصات وأعداد الطلاب والأعمال الادارية التي يقوم بها المعلم ، كل ذلك ترعاها الدولة بجميع إحتياجاتها المادية ، ومن بينها ما يتقاضاه المعلم من أجرة مقابل ممارسته لمهنة التعليم٠

(٣) صون العلم واحترامه :

يرى الامام العلموي (١٣٤٩ هـ) أن من واجب المعلم أن " لا يذل العلم ولا يذهب به الى مكان ينسب الى من يتعلمه منه ، وان كان المتعلم كبير القدر ، بل يصون العلم عن ذلك كما صانه السلف " ص ٤٤ ٠ حيث روى معاذ ابن جبل رضي الله عنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لايعلمه صدقة ،وبذله لأهله قربة " (ابن عبدالبر، د٠ت ،جا،ص٥٤)

ثم ان الامام العلموي (١٣٤٩ هـ) نهى عن أن يحمل المعلم العلم الى بيت المتعلم واعتدى ذلك هوان للعلم مستدلا بقول الزهري : "هوان العلم أن يحمله العالم الى بيت المتعلم ، فان دعت ضرورة وحسنت فيه نية صالحة فلا بأس" ص ٤٤ . ولبعض السلف كما ذكره العلموي قولهم :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ∴ ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهان ودنسوا ∴ محياه بالأطماع حتى تجهما

(العلموي، ١٣٤٩هـ ،ص ٤٤)

(٤) المعلم كقدوة :

ان من أهم صفات المعلم هي أن يعمل بعلمه ، لأنه في واقع الأمر قدوة لطلابه ، ويعلم من هم بين يديه بسلوكه ، وعمله ، ويربيهم على الخير والصلاح قبل قوله وكلامه . كما أن المعلم قدوة لطلابه فان أعينهم أيضا معقودة عليه فهم يقلدونه في حركاته وسكناته ، يقول الامام العلموي (١٣٤٩ هـ) ان من الآداب التي يجب أن يتحلى بها المعلم هي " أن يكون عاملا بعلمه غير مناقض فعله قوله ولذلك قيل :

لا تنه عن خلق وتأت مثله ∴ عار عليك اذا فعلت عظيم "ص ٤٥

ومن قول الامام العلموي يتضح أنه متى كان قول المعلم مخالفا لعمله ، لم يكن لارشاده وتعليمه للعلم فائدة مطلوبة ، حيث أن الهدف الأساسي من التعليم هو مساعدة المتعلم وتعليمه في تحقيق ذاته لا بمساعدته في تحقيق أهدافه المعرفية فحسب . والمعلم عليه أيضا واجبا في تعليم المتعلم حيث يذكر الامام العلموي (١٣٤٩ هـ) أن من واجبه " أن لا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية ، فالامتناع من تعليمهم يؤدي إلى تفويت كثير من العلم مع أنه يرجى ببركة العلم تصحيحها إذا آنس بالعلم . وقد قالوا : طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله ، ومعناه كانت عاقبته أن صار لله " ص ٤٥ . ومتى ما كان رضا المعلم عن عمله والعمل به كان ذلك

إنعكاس على سلوكه بوجه عام وعلى علاقته بتلاميذه بوجه خاص ، كما أنه حصل العكس فإن المعلم يعلم الرياء والكذب لطلابه . وكما هو معلوم أن الطلبة يتأثرون بسلوك المعلم ويتأثورن أيضا بكلامه فهو قدوتهم في جميع الصفات الخلقية التي تصدر منه ، والتي تلقونها منه عن طريق المحاكاة ، والتقليد والتأسي به .

ثانيا : الخصائص التي ينبغي توفرها أثناء تعامل المعلم مع طلبته :

(١) النصح والتوجيه :

من الصفات الأساسية التي يجب أن تتوفر في المعلم الناجح هو أن يقدم لطلابه النصح والتوجيه السليم الذي يتفق مع قيمهم الاسلامية ويساعدهم على فهم أنفسهم وإدراك المشكلات التي يعانون منها . ولذا فقد رأى الامام العلموي (١٣٤٩ هـ) أن من بين النصائح التي يجب أن يقدمها المعلم لطلابه اذا آنس فيهم رشدا ولمح فيهم خيرا " التدرج بالآداب السنية ، والشيم المرضية والدقائق الخفية ، ويعوده الصيانة في جميع أموره الكامنة والجلية " ص ٤٥ . ولذا فإن وظيفة المعلم ليست مقصورة على تعليم الطلاب أنواعا من المعارف وإكسابهم بعض العلوم والحقائق فحسب ، بل وظيفته بالدرجة الأولى هي التعامل مع المتعلمين ومساعدتهم على تحقيق ذواتهم والعمل معهم وفق طبيعة كل منهم حسب حالته . كما أنّ من واجب المعلم أن يكون على علم واطلاع ودراية بكيفية التعامل مع بعض الحالات النفسية والاجتماعية إن وجدت والتي قد تعرقل أو تحد من عملية التعليم بالنسبة لهؤلاء الطلاب وبالتالي تؤثر في تحصيلهم الدراسي . ومما يؤكد ذلك ما ذكره الامام العلموي (١٣٤٩ هـ) من أن واجب المعلم أن يرشد المتعلم الى أهمية الراحة إذا تملكه التعب أثناء تعلمه فقال : " إذا سلك الطالب فوق ما يقتضيه حاله وخاف ضجره ، أوصاه بالرفق بنفسه ، وكذلك إذا ظهر له منه السآمة أو ضجر أمره بالراحة " ص ٥٢ . ومما يراه أيضا " أن من واجبه أن يحرضهم بالأقوال

والأفعال على الاخلاص والصدق وحسن النية ومراقبة الله تعالى في جميع اللحظات وأن يداوم على ذلك حتى الممات ... - وبذلك - تنفتح عليه أبواب المعارف وتنفجر ينابيع الحكمة واللطائف وفق للاصابة في قوله وفعله "ص ص ٤٥ - ٤٦.

والامام العلموي يوجه المعلم الى أن يستخدم النصح والتوجيه في معاملته مع طلابه فيرغبهم في العلم ويذكرهم بفضائله وفضائل العلماء،وأنهم ورثة الأنبياء على منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء ، ولايمكن الطالب من الاشتغال في علمين أو أكثر إذا لم يضبطهما ، بل يقدم المهم فالأهم وإذا غلب على ظنه أنه لايفتح عليه في ذلك العلم أشار عليه بتركه ، والانتقال الى غيره مما يرجى فلاحه فيه . (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ،ص ٥٢) وعلى هذا فان مهمة المعلم في التعليم تتركز بالدرجة الأولى في النصح والتوجيه والارشاد وفي القدوة الحسنة لتلاميذه والتي تقوم على إدراك ميول الطلاب ورغباتهم ومن ثم توجيهها الوجهة اللازمة . وهذا المبدأ أحد المبادئ التي تنادي بها التربية الحديثة فمساعدة المتعلم على إختيار مايناسبه من الخبرات والمعارف وتوجيه الطلاب الى أفضل الطرق والمذاكرة والتحصيل مسئولية المعلم لأن عمله ليس مجرد حشو أذهان الطلاب بالحقائق والمفهومات بل بتوجيه الطلاب وإرشادهم الى كل مافيه خير وصلاح لهم. فيوجههم مثلا الى أحسن طرق التعليم ، والى التركيز والانتباه للدرس ، وحصر الذهن أثناء المذاكرة ، وتخصيص مكان معين للاستذكار ، وتقسيم أوقاتهم حتى لاتضيع سدى وهذا ماذكره العلموي (١٣٤٩ هـ) حين قال : " وأجود الأوقات للحفظ الأسحار وللبحث الابكار وللكتابه وسط النهار،وللمطالعة والمذاكرة الليل .. وأجود أماكن الحفظ الغرف وكل موضع بعيد عن الملهيات " ص ٧٤ .

(٢) العدل والموضوعيــة :

إن العدل هو الذي نادى به الاسلام وهو الأساس الذي تبنى عليه العلاقات الانسانية سواء داخل المجتمع الاسلامي أو خارجه ، وهو إسم من أسماء الله يعدل ويقضي بالحق ، وكان أمر الله بالعدل في كتابه الكريم قويا وصريحا مخاطبا في ذلك نبيه الكريم حيث قال تعالى : ﴿ **وأمرت لأعدل بينكم** ﴾ الشورى ،١٥ . وذلك عندما أمره بالعدل وهو قدوة المعلمين ، ثم إن العدل بين الناس هو إعطاء كل ذي حق حقه أو مايعادله وهو أيضا وسيلة لتقوى الله قال تعالى : ﴿ **إعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ المائدة ،٨ .

كما أن من خصائص المعلم الجيد العدل في معاملة الطلاب ، وأن تكون العلاقة بينه وبين المتعلم قائمة على العدل والمحبة والمودة والمشورة. والطالب متى ما أحس من معلمه بنوع المعاملة التي تخلو من تفضيل طالب على آخر بغير حق ، فإنه يتقبل العلم وينمو نموا سليما مبنيا على محبته للعلم وللمعلم . وبالعكس فإن فقدان العدل في المعلم يعوق عملية التعليم مما يسبب في نفوسهم نفورا ووحشية وكراهية للمعلم وللتعليم جملة. والامام العلموي (١٣٤٩ هـ) وعى إلى أن يحكم العدل سلوك المعلم في تعامله مع طلابه ، ونهاه عن صفة التمييز للبعض والمحاباة لهم فقال : " ولايظهر المعلم للطلبة تفضيل بعض على بعض لاسيما إذا تساووا في الصفات من سن ، أوفضيلة أو تحصيل ، أو ديانة ، فترجيح بعضهم على بعض مما يوغر الصدور " ص ٥١.

ومن العدل في التعليم كما يرى العلموي (١٣٤٩هـ) " أن لا يقوم أحد في نوبة غيره ، ولا يؤخره عن نوبته إلا إذا رأى في ذلك مصلحة " ص ٥٢.

ثم إن التزام المعلم بالموضوعية في حكمه على الطلاب بجانب عدله له أثر كبير في تهيئة بيئة صالحة للتعليم خالية من جميع أسباب الحقد والكراهية وفي رأي العلموي (١٣٤٩ هـ) أن أصلح المعلمين هو الذي " إذا فهم فائدة من البعض في البحث وإن كان من صغير فيناصفه بها ويشكره عليها فإن ذلك من بركة العلم " ص ٥١ .

والمعلم أثناء شرحه للدرس قد يرى في طلابه من يفوق أقرانه في العلم لذا يرى الامام العلموي (١٣٤٩ هـ) أنه " إذا ظهرت فضيلته يثنى عليه في حد ذاته من غير تصريح بأن فلانا أفضا من فلان " ص ٥١ ، والتفاضل بين الناس يجب أن يكون في : التقوى ، والعلم ، والتفقه في الدين ، وفي هذا قال صلى الله عليه وسلم عندما سألوه عن ذلك : " أي الناس أكرم قال :أكرمهم عند الله أتقاهم ، قالوا : ليس عن هذا نسألك قال : أكرم الناس يوسف نبي الله إبن نبي الله إبن نبي الله إبن خليل الله . قالوا : ليس عن هذا نسألك قال : فعن معادن العرب تسألونني ؟ قالوا : نعم قال فخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام إذا فقهوا " (البخاري ،١٤٠٧هـ ،ص ١٢٢٤).

كما أن المساواة بين الطلاب في طلب العلم من جانب المعلم دون النظر الى الشرف والجاه والغنى هو أساس العدل في التعليم . فالطلاب في حلقات العلم سواسية لافرق بين غني وفقير ، ولا بين أبناء الخليفة وغيرهم ، بل الفضل لمن بذل جهدا أكثر أيا كان عنصره . قال حمدان بن الأصبهاني : كنت عند شريك فأتاه بعض أولاد الخليفة المهدي فاستند أحدهم الى الحائط وسأله عن حديث فلم يلتفت اليه شريك ، ثم عاد ، فعاد شريك لمثل ذلك ، قال: تستخف بأولاد الخلفاء ؟ قال : لا لكن العلم أجل عند الله من أن أضيعه " (العلموي ،١٣٤٩ هـ ، ص ٦٤). فهذا هو شأن العدل والموضوعية في المعلم الناجح التي تسعى التربية الاسلامية الى وجوده في المجتمع لكون عمله يقوم على العدل ، والمحبة ، والمودة ، والمشورة ، فيحقق بذلك محبة المتعلم للمعلم وللتعليم والرغبة في تحصيله دون إنصراف عنه وعن معلمه .

(٣) التواضع والرفق في معاملة الطلاب :

التواضع هو الخشوع لله وخفض الجناح ولين الجانب للناس وقبول الحق ممن قاله أيا كان (ابن القيم ،د.ت ، ج ٢ ، ص ٣٢٩) وهو أيضا " صفة بين التكبر والذلة والعفة " (الزرنوجي ،١٤٠١ هـ ، ص ٤٩)٠ وعكس التواضع الكبر والإعجاب بالنفس وهما صفتان مذمومتان تثير الحقد والكراهية في نفوس الآخرين حيث أن المتكبر يرى أن الناس دونه بما لديه من مكانة إجتماعية أو مالديه من جاه أو مال ٠ ثم إن عاقبة الكبر وخيمة قال صلى الله عليه وسلم " لايدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر " (صحيح مسلم ،١٤٠٣ هـ ،ص ١٤٧)٠

ومن هنا تبرز أهمية التواضع لكل إنسان بصفة عامة وللمعلم والمتعلم بصفة خاصة عند الله أولا حين قال : ﴿ **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** ﴾ الشعراء ، ٢١٥ ٠ وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا حين قال : " لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه " (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص ٤٧)وعند العلموي (١٣٤٩ هـ) حين قال : " هذا التواضع لمطلق الناس ، فكيف بهؤلاء الذين هم أولاده مع ملازمته وإعتمادهم عليه في طلب العلم وما هم عليه من حق الصحبة وحرمة التودد وشرف المحبة وصدق التودد " ص ٤٧ ٠ كما أن التواضع لايعني الذل ، فالتواضع لايتبعه ذل الا لله بينما التواضع للناس يكون بقبول الحق ولين الجانب لهم دون ذل ، ومن هنا فان من الآداب التي يجب أن يتصف بها المعلم مايلي : -

(١) أن يكون متواضعا غير متكبر ولا متعاظما ولا مغرورا لينا في قوله للمتعلم وذلك لأن التواضع للمتعلم يساعده على الاقبال على العلم وسرعة تفهمه ٠ ثم إن من صفات المعلم الجيد أن لايتعاظم على المتعلمين بل يلين لهم القول ويتواضع لهم (العلموي ، ١٣٤٩هـ ، ص ٤٧) ٠ وهذا أيضا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

المعلم والقدوة الذي ربى أصحابه بقوله " إن الله أوحى اليّ أن تواضعوا " (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٤٧).

(٢) أن يحب للمتعلم ما يحب لنفسه وأن يكون سمحا ببذل ماحصله من العلم ، سهلا بالقائه ، ولا يدخر عنهم مايحتاجون اليه أو يسألونه عنه . قال الامام العلموي (١٣٤٩ هـ) : من واجب المعلم تجاه المتعلم " أن يحب له مايحب لنفسه ويكره له ما يكرهه لنفسه من الشر .... ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح نفسه وولده في الشفقة عليه والاهتمام بمصالحه " ص ٤٦ .

(٣) أن يحسن خلقه مع طلابه ويحترمهم ويحسن إستقبالهم والترحيب بهم إذا لقيهم ، ويقابلهم بالبشاشة وطلاقة الوجه ،ويقدم لهم كل ما يستطيع أن يقدمه من علمه وماله وجاهه . كما ينبغي أن يخاطب كل منهم لا سيما الفاضل للتمييز بما يرى من أحب الأسماء اليه ، وما فيه من تعظيم وتوقير ، أو كنية يحبها لأن في ذلك أثر طيب في إشباع حاجة الطالب الى التقدير الاجتماعي وإدخال السرور عليه مما يؤدي الى نجاحه وتفوقه ومما يؤدي ذلك ما أورده الامام العلموي (١٣٤٩ هـ) من النصوص عن بعض السلف والتي تدل على التواضع وحسن المعاملة ومنها : -

- ماجاء عن عائشة رضي الله عنها " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكني أصحابه إكراما لهم ، وجاء كثيرا في مخاطبته لأبي بكر رضي الله عنه بالصديق . فان ذلك ونحوه أشرح لصدورهم وأبسط لسؤالهم . وكان البوطي[1] يدني القراء

---

(١) صاحب الامام الشافعي الذي قام مقامه في التدريس والفتوى بعد وفاته وهو أبو يعقوب يوسف بن يحي المصري البوطي صاحب الشافعي ،كان واسطة عقد جماعته ، وأظهرهم نجابه ،قام مقامه في التدريس والفتوى بعد وفاته ، وقد حمل في أيام الواثق بالله من مصر الى بغداد في مدة المحنة ،وأريد على القول بخلق القرآن فامتنع من الاجابة الى ذلك وحبس ببغداد ولم ==

ويقربهم إذا طلبوا العلم ويعرفهم فضل الشافعي وفضل كتبه ، ويقول : إصبروا للغرباء وغيرهم من التلاميذ وكان أبو حنيفة أكرم الناس مجالسة وأشدهم اكراما لأصحابه اذا غاب أحدهم قصد منزله بنفسه وهو أفضل وإن كان مريضا عاده ، أو في غم خفض عنه ، أو مسافر تفقد أهله ،وتعرض لقضاء حوائجهم ووصلهم بما أمكن " ص ٤٨ ٠

(٤) أن يستعمل أسماء طلبته وأنسابهم ، وأن يكون معهم لطيفا لينا ، يستطيع التأثير فيهم ٠ وهذا ما أدركه الامام العلموي حين قال: على المعلم أن يستعمل أسماء طلبته وحاضري مجلسه وأنسابهم ومواطنهم وأحوالهم ، لأن في ذلك تلطف وتونيس لوحشتهم ٠٠٠وعليه أيضا أن يكون متلطفا في إفادة طلبته مع إرشادهم الى المهمات وتحريضهم على حفظ مايبذله لهم من الفوائد ٠ ولايمنع عنهم ماهم في حاجة اليه لأن ذلك ربما يوحش صدورهم وينفر قلوبهم (العلموي، ١٣٤٩ هـ ، ص ٤٨)٠ ولذا فان من واجب المعلم الرفق في معاملة الطلاب ومراعاة إدراكهم وهذا ماتسعى اليه التربية الحديثة ٠

فالتواضع إذن يعد من الخصائص الضرورية في حياة المعلم نظرا لما ينتج عن الالتزام به من زيادة العلاقة الطيبة بين المعلم والمتعلم والتي تكون سببا أساسيا في إخلاص كل منهما لعمله ٠ والمعلم بتواضعه يعرف أشياء وتغيب عنه أشياء ويعرف الظاهر من الأشياء دون الباطن مدركا أن العلم بحر لا يصل أحد إلى قراره ومصدقا بقوله تعالى:﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾ الاسراء ،٨٥ ٠ ثم إنه بتواضع المعلم في تعليمه يساعد المتعلم على الإقبال

== يزل في السجن والقيد حتى مات ٠ قال الربيع : مارأيت أحد أنزع بحجة من كتاب الله تعالى من أبي يعقوب البوطي ٠ وقال لأحد أصحابه في حلقاته استوصى بالغرباء خاصة خيرا (ابن خلكان ،١٩٦٩م ،جـ ٧ ،ص ٦١ – ٦٤)٠

على العلم وسرعة تفهمه ، فالمتعلم بحاجة إلى البشاشة ، وطلاقة الوجه ، والمعاملة الحسنة ، لتقبل العلم من معلمه هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الإتصاف بالتواضع يلزم الطلاب على التحلي به مع بعضهم ، مما يؤدي الى إيجاد مجتمع إسلامي يسوده التواضع والحب والعطف بعيدا عن الكبر الذي يسبب الحقد والكراهية لدى الآخرين ويبعد حصول العلم . وقد قال الشاعر :

العلم حرب للفتى المتعال ∴ كالسيل حرب للمكان العالي

(٤) مراعاة الفروق الفردية :

يوضح الامام العلموي أن المتعلمين متفاوتون عقليا وكل له إستعداداته الخاصة به ، لذا يلزم المعلم أن يفهم كل واحد بحسب فهمه ويراعى قدرات المتعلمين فالذكي النابه أقدر على التحصيل وأسرع فيه وأدق فهما من غيره فيكفيه من معلمه الإشارة دون العبارة . أما الأقل ذكاء من المتعلمين فانه يوضح له بصريح العبارة ويكررها لمن لم يفهمها إلا بالتكرار(العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٤٩) . وهذا مايدل على أن طرق التدريس كانت تقوم على اعطاء المتعلم حسب قدراته . وقد استخدمت التربية الحديثة في طرق التدريس التكرار الموزع والذي قد قال فيه (جاكسون ، ١٩٣٧م) إن " التكرار الموزع يثبت الآثار في الذهن ويهيء للعقل فرصة واسعة لهضم المعلومات " ص ٨٦ .

وبذلك فإن من واجب المعلم في نظر العلموي أن يعرف قدرات الطالب قبل البدء في تعليمه فيعطي ويعلم كل طالب على مقدار وسعة طاقته ، واذا استشاره من لم يعرف حاله في ذكائه وتحصيله للعلم في قراءة فن مشكل أو كتاب مشكل لم يشر عليه بشيء حتى يجرب ذهنه ويعلم حاله (العلموي، ١٣٤٩هـ ، ص ٥٢) .

كما أن تفاوت القدرات بين الطلبة من ناحية الاستعدادات تتفاوت ، فالطالب الذكي صاحب استعداد خاص ، ومن واجب المعلم كما أشار العلموي

(١٣٤٩هـ) اذا رأى " فهمه جيدا نقله إلى كتاب يليق ذهنه ، لأن نقل الطالب الذكي يزداد به فهمه واجتهاده وانبساطه ، ونقل الطالب غير الذكي يكل فهمه ونشاطه " ص ٥٢ ٠ وهذا معناه أن التربية الاسلامية سبقت التربية الحديثة فيما تنادي به من حيث إنشاء مدارس خاصة للمتفوقين عقليا ، وإعطائهم مناهج دراسية تتفق مع استعداداتهم كي لانظلمهم اذا وضعناهم مع التلاميذ العاديين ٠

ثم يوضح الامام العلموي للمعلم صورة أخرى لطرق التدريس وهي أن الطالب قليل الذكاء يكون بطيء في التعليم ولايستطيع مواصلة تعليمه دون تبسيط شديد للمعارف والخبرات ، وتوضيح ذلك بالأمثلة ، فيكون من واجب المعلم نحو هؤلاء الطلاب أن يبدأ بتصوير المسألة ثم يوضحها بالأمثلة والوسائل التعليمية ويقتصر على ذلك من غير دليل ولا تعليل ، فان سهل عليه الفهم فيذكر له الدليل والتعليل (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٤٩) ٠

وعلى هذا يجب على المعلم أن يراعي أثناء تدريسه الفروق الفردية بين الطلاب ويضع في اعتباره تفاوت قدرات الطلاب في التعليم بين الذكي النابه ومتوسط الذكاء ، ومتوقف الذهن ٠ حيث أن مبدأ مراعاة الفروق الفردية يعد من المبادئ الهامة في طرق التدريس لأن عدم مراعاتها يؤدي الى ضياع الطلاب الأذكياء ، ولعل التعليم المطور في عصرنا الحاضر أو التخصيص في مجال من المجالات التعليمية بتوجيه المعلم أو المرشد الطلابي بما يتلاءم مع قدرات الطالب واستعداداته لهو من مبدأ مراعاة الفروق الفردية ٠ وهذا معناه أن المعلم يحتاج الى الوقوف على استعدادات وامكانيات كل متعلم على حدة ، ليكون على بينة بمقدار المعرفة المكتسبة لدى كل طالب قبل البدء في تعليمه ليتم على أساسها التعامل معه ومراعاة ذلك أثناء عملية التدريس ، وهنا يأتي دور المعلم وما يتميز به من الخبرة والعلم وسعة الفهم لمعرفة سمات وقدرات طلابه ليتمكن من مساعدتهم وتعليم كل منهم تعليما يناسب حالته ويختلف عن تعليم غيره ٠

(٥) تنبيه المتعلم بطريق التعريض والرحمة :

حذر الامام العلموي عن سوء المعاملة مع المتعلم في طريقة زجره ، فالطالب قد يخطيء ويحصل منه هفوة مع معلمه أو مع الآخرين ، أو يحدث منه سوء الأخلاق أو ارتكاب المحرمات والمكروهات ، مما يؤدي الى فساد حال أو ترك اشتغال أو اساءة أدب أو عشرة من لايليق ونحو ذلك. ومن آداب المعلم الجيد كما يرى العلموي (١٣٤٩ هـ) أنه في حالة وقوع خطأ من الطالب عليه أن ينبهه " بطريق التعريض والتلويح لا بطريق التصريح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوربيخ والنقمة ، فان التصريح يرفع حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الاصرار " ص ٤٦ ، ثم يضرب الامام العلموي هنا مثالا لذلك بقصة آدم وحواء عليهما السلام . قال تعالى : **﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ﴾** البقرة ٣٥ . وفي سورة طه . قال تعالى : **﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما ﴾** آية ١٢٢ . وقد ورد " لو منع الناس عن فت البعر لفتوه " وقالوا : " مانهينا عنه إلا وفيه شيء " (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ص ٤٦ ، ٤٧). ومما أورده العلموي من أدلة حول تنبيه المتعلم بطريقة التعريض والرحمة يتضح لنا أنه من الوجهة التربوية يجب مراعاة مايلي :

(١) يجب على المعلم معالجة خطأ المتعلم بطريقة المتفهم لنفسيات الآخرين واحترام مشاعرهم ، والإبتعاد عن كل مافيه تعنيف وشدة وتوبيخ ، فإن ذلك قد يؤدي إلى إذلال نفسيته وتحطيم شخصيته .

(٢) من تفسير الآية ٣٥ ، والواردة في سورة البقرة ، يثبت أن الممنوع مرغوب ، لذا يجب على المعلم أن يبتعد عن الشدة في تعامله مع طلابه ، ويتمسك بأصل التنبيه لنفسية المتعلم في عملية الارشاد والتوجيه ، وما يصاحب ذلك من رحمة وشفقة .

(٣) يجب على المعلم أن يفهم وضع المتعلم من الناحية العقلية والاجتماعية حتى يستطيع من خلالها الاستزادة من العلم والانتباه عند الاشارة العارضة بطريقة التلويح التي يجب أن يستخدمها المعلم بدلا من التصريح ٠

كما يتضح أيضا من رأي الامام العلموي وغيره من مفكري الاسلام إلى أن تعنيف الطالب وزجره بطريقة التصريح طريقة سيئة من الوجهة التربوية ، لأنها تشعر الطالب بالمهانة والحقارة وتفقدهم الثقة بأنفسهم ،ومن واجب المعلم أن يترفق بتلاميذه ولا يتشدد معهم ٠ وعلى هذا نجد أن الامام العلموي متفقا مع المربين المعاصرين الذين يربطون نجاح التعليم على صلة المعلم بالمتعلم إذ أن نجاح التربية إنما يترتب إلى حد كبير على علاقة العطف والمودة التي يجب أن تربط بين المعلم وتلميذه وهذه العلاقة كفيلة بأن تشعر الطالب بالاطمئنان الى معلمه فلا يخشاه ولا ينفر من علومه ،لأن التقريع والتوبيخ الدائم من شأنه تعليم التلميذ الجرأة والعناد والنفور والخوف من المعلم ٠ كما أن المدح والتشجيع كثيرا ما يكونان سببا في الاصلاح وحب المعلم والتعليم وحسن الاستقبال له ٠ ثم إن تنشئة التلميذ على التدليل والتنعيم والتراخي والكسل،والتساهل في التعامل مع زملائه بسوء الخلق أمور غير مستحسنة لأن هذه التنشئة كفيلة بإفساد خلقه وهذا مالا ينبغي أن نربي عليه أبنائنا الطلاب ٠

ثالثا : صفات وخصائص ينبغي مراعاتها عند القيام بعملية التدريس :

(١) الالتزام بتعاليم الدين الاسلامي :

من الآداب التي يجب أن يتحلى بها المعلم أن يكون تقيا وملتزما بالعقيدة الاسلامية سلوكا وفكرا ، وأن يكون إنسانا فاضلا ورعا يعتبر مسئوليته الأولى إعداد طلابه ليكونوا مسلمين صالحين يعيشون حسب مبادئ الشريعة وكتاب الله الكريم .

ثم إن التقوى في العملية التعليمية تعني الايمان المطلق بالله الواحد خالق كل شيء وتأكيد وتعميق وترسيخ هذا الايمان إلى غايته القصوى . كما تعني التقوى تعظيم العلم والتأدب بآدابه ، كما يقول الامام العلموي (١٣٤٩ هـ) على المعلم " إذا عزم على التدريس ... أن يصلي ركعتي الاستخارة وينوي نشر العلم وتعليمه وبث الفوائد الشرعية ، والاجتماع على ذكر الله ، وإذا خرج من بيته للدرس فيدعو بما ورد في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل عليّ ، عز جارك ، وجل بناؤك ، ولا اله غيرك " ص ٥٣ . فالتقوى هنا تعني صيانة النفس عن الآثام والوقوع فيما حرم الله . وهذا مايجب أن يتوفر في مرب الأجيال فهو رائد إجتماعي في مدرسته وبيئته ومجتمعه ، وهو أيضا قائد لجماعات متعددة من التلاميذ على مر السنين ومصدر لكثير من العلوم والمعرفة .

أما الورع ، فهو مراقبة الله تعالى في كل مايصدر عن المعلم من سلوك سواء كان قول ينطق باللسان أو هوى أو عاطفة يخفق بها ، القلب ، أو فكرة وإرادة يقررها العقل (الهاشمي ،١٤٠٦ هـ ، ص ٣١) . وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ **ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾ الاسراء ، ٣٦ .

وفي ذلك يرى الامام العلموي (١٣٤٩ هـ) أن من واجب المعلم "أن يديم ذكر الله تعالى ... وأن يصون بدنه عن الزحف والتنقل عن مكانه ، ويديه عن العبث والتشبيك بهما ، وعينيه عن تفريق النظر بلا حاجة " ص ص ٥٣، ٥٤.
وهذا دال على احترامه للعلم ومراقبة الله في عمله واستشعار بأن الله معه في حله وترحاله .

ومن التقوى والورع والأمانة في العلم أنّ المعلم اذا سئل عن شيء فلا يكون متسرعا في الإجابة سواء بالنفي أو الايجاب ، فهناك أمور يجب أن يتوقف فيها المعلم عن الاجابة وإصدار الأحكام بل ويجب عليه أن يتخذ جانب الإحتياط وهذا مايجعل العلموي (١٣٤٩ هـ) ينصح المعلم أن يحذر من الاقدام على الفتيا لأن التحرج منها من صفات العلماء والمربين فقال رحمه الله : " اذا سئل ـ المعلم ـ عن شيء لايعرفه ، أو عرض في الدرس مالايعرفه فليقل لا أعرفه أو لا أتحققه ، أو لا أدري ، ولا يستنكف عن ذلك ، فمن علم العالم أن يقول فيما لايعلم ، لا أعلم والله أعلم " ص ٥٦ .

ثم انه لايعني التحرج من الفتيا أن يكتم المعلم مامعه من علم بل عليه تعليمه غيره وتبليغه للناس ، ولقد كان سلف الأمة يعلمون ويربون الناس على منهج الاسلام ، فلا يكتمون ولايتوانون كما أنهم لايتكلمون بما لايعلمون . قال ابن مسعود رضي الله عنه : " يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ، ومن لا يعلم فليقل الله أعلم ، فان من العلم أن تقول لما لا تعلم الله أعلم " (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٥٧) والله عز وجل أدب نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال تعالى : ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين** ﴾ سورة (ص) آية ٨٦ .

ومن أقوال السلف حول هذه المسألة مايلي : قال علي رضي الله عنه : إذا سئلتم عمّا لاتعلمون فاهربوا . قالوا كيف الهرب ؟ قال : تقولون الله أعلم . وقال ابن عباس رضي الله عنه : إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقالته (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٥٧).

ثم إنه ليس عيبا أن يقول المعلم عن شيء لا يعرف الحكم فيه لا أدري وهذا المبدأ أعنى التورع عن الفتيا والحذر من الاقدام عليها ينبغي أن يغرسه المعلم في نفوس طلابه ويربيهم عليه وحسبه في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أمام الملأمن الناس عن الساعة فقال بصريح العبارة " مالمسئول عنها بأعلم من السائل ... الحديث " (البخاري،١٤٠٧هـ ، ج ١ ، ص ٢٨) . " وقال ابن عمر رضي الله عنه وقد سئل عن شيء : لا أدري ثم أتبعها فقال : أتريدون أن تجعلوا ظهورنا لكم جسورا في جهنم أن تقولوا : أفتانا بهذا ابن عمر " (العلموي ،١٣٤٩هـ ،ص ٥٧).

هذا وقد أدرك الامام العلموي أن من الصعب على كثير من المعلمين قول : لا أدري ، أو قول : لا أعلم ، لطلابه حتى لايتهم المعلم بالجهل وقصور المعرفة فأورد مقالة شيخ الاسلام النووي الدالة على أن قول المعلم: لا أعلم و لا أدري ، في بعض الحالات ليس دليل على الجهل ، أو علامات القصور بل هي دليل على عظم محله وتقواه أو كمال معرفته ، لأن المتمكن لايضره عدم معرفته مسائل معدودة بل يستدل بقول : لا أدري على تقواه ، وأن لايجازف في فتواه ، وإنما يمتنع من لا أدري من قل علمه ، وقصرت معرفته ، وضعف تقواه لأنه يخاف لقصوره أن يسقط من أعين الحاضرين وهذه جهالة منه (العلموي، ١٣٤٩ هـ ، ص ٥٧).

(٢) العناية بالمظهر الخارجي :

إن العناية بالمظهر العام بالنسبة للمعلم إلى جانب الاعداد التعليمي ذو أهمية كبيرة ، حتى وإن كان هذا الشرط ليس له علاقة مباشرة مع العلم وتحصيله إلا أنه مبدأ من باب مراعاة فضل العلم وشرفه وقد دعا العلموي (١٣٤٩ هـ) المعلم الى أن من " الآداب التنظيف بازالة الأوساخ وقص الأظافر وإزالة الشعور المطلوب زوالها ، واجتناب الروائح الكريهة وتسريح اللحية ، وملازمة الأفعال الحميدة الظاهرة والباطنة ، والمقامات العليه ،

والأحوال السنيه وأعلاها محبة الله المجنبة لكل خصلة فاسدة ، وكذلك محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه " ص ٢٩ . وهذا ماتؤكده الآية الكريمة التالية حيث قال تعالى ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ آل عمران ٣١ .

كما يوصي العلموي (١٣٤٩ هـ) المعلم أيضا بأنه اذا عزم على التدريس لزمه " أن يتطهر من الحدث والخبث ، فلا يلقي الدرس الا على الطهارة ، وأن ينظف ويطيب بدنه وثوبه ، ويختار له لبس البياض ،ولا يعتني بفاخر الثياب، ولا يقتصر على خلق ينسب صاحبه الى قلة مروءة ، وأن يتطيب ويسرح لحيته ، ويزيل كل مايشينه " ص ٥٣ . والمعلم عندما يلتزم النظافة والطهارة حتى في طلب العلم إنما يكون قصده بذلك تعظيم العلم وهو أيضا القدوة الحسنة لتلاميذه في مظهره وهندامه وكل سلوك للمعلم ينطبع في نفوس تلاميذه عن طريق المحاكاة والتقليد والتأسي به .

كما أننا نجد بأن الامام العلموي عندما ينصح ويوجه المعلم الى العناية بالمظهر العام إنما كان يقصد تعظيم العلم وقد سبقه الى ذلك علماء المسلمين الأوائل حيث قيل أن الامام مالك رضي الله عنه إذا جاءه الناس لطلب الحديث إغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ، ووضع رداءه على رأسه ، ثم يجلس على منصة ، ولايزال يبخر بالعود حتى يفرغ ، وقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٥٣).

ومن هنا يتطلب من المعلم أن يكون نظيفا في مظهره طاهر النفس عن مساويء الأخلاق كالحسد والرياء والحقد وغيرها لأن ذلك تنطبع في نفوس التلاميذ عن طريق التقليد والتأسي به. وهذا مادعا اليه العلموي(١٣٤٩هـ) حين قال : على المعلم " أن يطهر نفسه من الخبائث الباطنة ، ومن مساويء الأخلاق ، ومذموم الصفات كالحسد ، والريا والاعجاب ، واحتقار الناس ، والغل ، والبغي ، والغضب لغير الله ، والغش الى غير ذلك من تعدد أوصاف خبائث

النفس فكما لاتصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح إلا بتطهير الأحداث والأخباث ، فكذلك لاتصح عبادة الباطن إلا بطهارته من خبائث الأخلاق " ص ٢٩ ·

ولذا فإنه مادام المعلم قدوة لتلاميذه ، والتلميذ لايدع الاقتداء به في كل شيء وجب عليه أن يبدو دائما لتلاميذه بصورة طيبة دون مغالاة لأن الأبصار ترمقه وفي نفوس الطلاب ميل طبيعي إلى محاكاته وتقليده ، وهو بالمظهر العام يكون مقبولا من طلابه ومن الناس جميعا · وبالاضافة الى أن الطهارة والنظافة أحد العناصر المهمة في تكوين الحياة الصحية وازدهارها ، وجعلها بمأمن من التلوث بالأمراض السارية ·

(٣) أن يكون صحيح البدن والنفس :

من المتعارف عليه اليوم أن العوامل الجسدية تؤثر في نوع التعليم وكميته كالتعب والجوع والمرض وضعف الحواس والحالة النفسية · والامام العلموي (١٣٤٩ هـ) كغيره من المربين المسلمين أدرك ضرورة تمتع المعلم بصحة جسمية ونفسية طيبة فقال : على المعلم " أن لايدرس وبه مايزعجه ويذهب استحضاره كمرض أو جوع أو عطش أو مدافعة حدث أو شدة فرح أو غم ،أو غضب أو نعاس أو قلق ولا في حال برده المؤلم وحره المزعج ، فربما أجاب أو أفتى بغير الصواب " ص ٥٥ · وقد علل ذلك بقوله : إن المعلم لايتمكن مع ماسبق من أمور تزعجه من أن يستوفي النظر في المسائل التي يريد إيضاحها أويفتي بغير الصواب (العلموي ،١٣٤٩ هـ ، ص ٥٥)·

فالمعلم متى كان صحيح البدن والنفس كان نشطا في عمله مقبلا عليه مستمرا فيه دون سآمة أو كآبة وبذلك يدفع تلاميذه الى الاقبال على التعليم ، والى أن يصلوا الى مستوى أعلى من التعليم · وبالعكس فان المعلم المعتل في بدنه أو نفسه غير قادر على الانتاج المثمر المطلوب وقد يصاب بعدم الارتياح حتى في عمله مما ينعكس أثره على تعامله مع تلاميذه

وفي مدرسته . ثم إن أول علامات الصحة النفسية رضا المعلم عن عمله لأن إقتناع المعلم بقيمة العمل الذي يؤديه يكسبه شعور بالأمن ويبعث في نفسه الطمأنينة ويبعد عنه الاضطراب والقلق وعدم الارتياح . وبذلك ينعكس أثره على المعلم وبالتالي على علاقاته مع تلاميذه . فينبغي للمعلم أن يهيء نفسه عند إلقاء الدرس من الناحية الفنية وذلك بحسن النية وصدق الدافع في التعليم والاعتماد على الله .

كما ينبغي له أيضا إلى جانب الاعداد النفسي تهيأته من الناحية الجسمية فالجوع والتعب والاحساس بالبرد الشديد والحر المؤلم له تأثير في قدرة المعلم على إلقاء درسه وإفادة تلاميذه والى هذا آشار العلموي كما سبق ايضاحه في هذه المسألة .

فالمعلم لابد من أن نوفر له بعض متطلبات الحياة حتى لاينصرف عن عمله ورعايته لطلابه الى أمور دنيوية بعيدة كل البعد عن مهمته الأساسية . فالرعاية الطبية ، وخطر الاصابات أثناء العمل ، والمعاش ، ومعونات العجز والشيخوخة أمور لها أهميتها في رفع أداء المعلم ومن ثم رفع مستوى مهنة التعليم .

(٤) البشاشة وقلة الضحك والمزاح :

من الآداب والقيم التربوية الجليلة ، ما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم من آداب وما أدركه علماء المسلمين الذين اهتموا بالتربية حيث رأوا أن هناك آداب ينبغي أن تراعى مع المتعلم حتى يؤتى التعليم أحسن الثمرات ومن هذه الآداب التي يجب أن يتحلى بها المعلم مع طلابه مايلي :

(١) حسن الخلق بحيث يكون المعلم لطيفا محبوبا حسن اللفظ والمعاملة يكرم تلاميذه بحسن السلام ، وطلاقة الوجه ، والبشاشة ، والابتسام ، والقيام لهم على سبيل الاحترام (العلموي ، ١٣٤٩هـ ، ص ٥٥) وهذا

شيء يؤدي الى نجاح العملية التربوية فالمعلم بعمله هذا يغرس في نفوس التلاميذ الصفات الحميدة التي دعا اليها الاسلام ومثلها في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امتدحه ربه بقوله :
﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ القلم ٤ .

(٢) توقير واحترام فاضلهم سواء بعلم أو سن أو صلاح أو شرف وأن يرفعهم في المجلس على حسب تقديمهم في الامامه (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٥٥) . وهذا يترتب عليه أن كرامة الانسان تزيد بفضل أعماله وإحسانه ثم إن احترام المحسن أكثر من غيرالمحسن أمر تربوي يشجع الناس على الفضيلة فلا يستوي العالم مع الجاهل والمؤمن وغير المؤمن . قال تعالى : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر ٩ . وقوله تعالى :﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات** ﴾ المجادلة ١١ .

(٣) أن لايطيل فياعطاء الدرس تطويلا عملهم ويمنعهم من فهم الدرس وضبطه ، ولا يقصر تقصيرا يخل ، فيراعى المصلحة في التطويل والتقصير (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٥٥) . وقد نهى العلموي عن ذلك لما يترتب عليه من الوجهة التربوية والتعليمية حيثأن في التطويل في الدرس فوات المقصود وهو إفادتهم وفهمهم للدرس بسبب مايصيب التلاميذ من الملل والسأم ، ويفقدهم الاهتمام بمتابعة المعلم ، ويصرف أذهانهم عن شرحه . وفي تقصيره وتقصير زمن الدرس فوات للفائدة بحيث لايتمكن المعلم من إستيفاء المحتوى التعليمي للمادة الدراسية فتضيع الفائدة. ولذا لابد للمعلم من إحداث التوازن في عملية التدريس بين استيفاء الدرس من جهة وبين مصلحة وطبيعة الدارسين من جهة أخرى .

فما أجمل المعلم في الحياة وفي الدرس من خلال تجاربه وخبراته ، حينما يجمع بين الزمن المحدد للدرس وطبيعة الدراسين وبين الجد الذي يسعى اليه روح الدعابة ، وفكاهة الحديث ، وعذوبة المنطق ، وطرافة الحكة .

فما أحسن وأكرم المعلم حينما يملك القلوب بجاذبية حديثه ،ويأمن النفوس بلطف معشره وكريم مداعبته . كما نصح الامام العلموي أن يتقي المزاح وكثرة الضحك معللا ذلك أنه يقلل الهيبة ، ويسقط الحشمة (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٥٤) .

فالمعلم يقوم بدور المربي والموجه لطلابه وهو القدوة لهم يكتسبون منه سلوكه وخبراته ومعارفه ومهاراته واتجاهاته . فاذا صدرت منه مثل هذه الأعمال كالاكثار من المزاح والضحك وغيرها من الأعمال التي تقلل من هيبته واحترامه مع كونه يحمل العلم ويربي الأجيال فقد يخرج عن مهمته الأساسية والتي أعد من أجلها .

ونخلص من الفصل الثاني الى أن الآداب التي نادى بها الامام العلموي والتي يختص بها المعلم هي آداب ذات قيمة تربوية تتلخص في :

(١) أن يكون المعلم ملتزما بالعقيدة الاسلامية سلوكا وفكرا .
(٢) أن يكون المعلم مؤهلا للقيام بعملية التدريس .
(٣) أن لايجعل المعلم علمه وسيلة للتكسب ويترفع به ويصونه كما صانه السلف .
(٤) أن يكون المعلم قدوة لطلابه في سلوكه وعمله وأن يقدم لهم النصح والتوجيه .
(٥) أن تكون علاقة المعلم بطلابه علاقة قائمة على العدل والمحبة والمودة والمشورة بعيدا عن التعنيف ، والشدة ، والتوبيخ ، لأن

ذلك قد يؤدي إلى إذلال نفسية المتعلم وتحطيم شخصيته .

(٦) يجب على المعلم ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ والوقوف على إستعدادات وإمكانيات كل متعلم على حدة أثناء عملية التدريس .

(٧) يلزم المعلم العناية بالمظهر العام وذلك مراعاة لفضل العلم وشرفه .

(٨) أن يكون المعلم حسن المعاملة مع طلابه بعيدا عن كل مايقلل الهيبة ويسقط الحشمة كالضحك والمزاح .



* ويشمل هذا الفصل على : -

- مفهوم المتعلم ودوره .
- الآداب والخصائص التي يجب أن يتحلى بها المتعلم

وتمثل :

(١) آداب وخصائص يختص بها في نفسه .
(٢) آداب وخصائص يجب أن يتحلى بها مع معلمه .
(٣) آداب وخصائص يجب أن يتحلى بها أثناء درسه .

الآداب التي يختص بها المتعلم

المتعلم كما ذكر شوكت عليان (١٤٠١ هـ) هو " من يتلقى المعلومات والخبرات ، وهو من يضيف إلى خبراته معلومات وخبرات أخرى " ص ٥٦ ، ويبرز دوره من خلال كونه أحد عناصر العملية التعليمية الأساسية حيث يعد عنصرا رئيسيا ثانيا الى جانب المعلم لابد من وجودهما لتتم العملية التعليمية ولهذا لابد لطالب العلم الجيد كما يرى الامام العلموي من آداب وأخلاق تعينه على طلبه وتحصيله منها :

- ما يتعلق بآدابه في نفسه ٠
- ما يتعلق بتعامله مع معلميه ومربيه ٠
- ماله علاقة بتعامله مع العلم في درسه وقراءته ٠

أولا : الآداب التي يختص بها المتعلم في نفسه :

(١) طهارة النفس عن سوء الأخلاق :

دعا الامام العلموي المتعلم إلى طهارة القلب واصلاحه من البدع والمعاصي والشواغل التي ضررها خطير على القلب وهي أيضا تلوثه حتى لايعي معاني العلم ولا يفهمه كما ينبغي وقد قال بعض أهل العلم : " تطييب القلب للعلم كتطييب الأرض للمزارعة ، فبذلك ينمو وتظهر بركته ،وإلا فلا ينمو لاو يزكو ، كالزرع في أرض بور غير مطيبة "(العلموي ، ١٣٤٩هـ ، ص ٥٨) كما أن الفوز النهائي والنجاح الأخروي مرهون بسلامة القلب من تلك الرذائل فهي تلوثه حتى لايعي معاني الايمان أيضا قال تعالى : ﴿ **يوم لاينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ الشعراء، ٨٨،٨٩ ٠ والله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وأرسله مبلغا ومزكيا نفوس الناس بالتربية والتعليم والحكمة فقال تعالى : ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا**

ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون ﴾ البقرة ١٥١
وعن السلف قول سهل بن عبدالله : " حرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله عز وجل " (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٥٨) .

ومن هنا يتضح أن تطهير النفوس من الرذائل والابتعاد عن المعاصي وغض الطرف عن المحرم التي هي من أسباب انشغال القلب والتزام الأخلاق الحسنة طريق لنجاح المتعلم في حياته التعليمية ومما يدل على ذلك قول علي بن حشرم حين قال : شكوت الى وكيع قلة الحفظ ، فقال : استعن على الحفظ بالابتعاد عن الذنوب ، وقد نظم بعضهم ذلك في بيتين فقال :

شكوت الى وكيع سوء حظي ∴ فأرشدني الى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم فضل ∴ وفضل الله لايؤتيه عاصي

(العاملي ، ١٩٨١م ، ص ١٨٦)

كما أن واجب المربي المسلم اليوم في مدارسنا تنشئة وتدريب طلاب العلم على السلوك الحسن وأن يبصرهم كيف يطهرون أنفسهم ويزكونها وكيف يحمونها من تسرب الرذائل اليها بعد ذلك .

(٢) السعي الدائم وعلو الهمة نحو طلب العلم والاستزادة منه :

يؤكد الامام العلموي (١٣٤٩ هـ) على أهمية طلب العلم بهمة عالية ، وذلك لما يضيفه العلم على صاحبه من فضل ، فلابد لطالب العلم أن تكون همته على حفظ جميع الكتب حرصا على التعلم ، ومواظبا عليه في جميع الأوقات ليحصل البعض والى هذا أشار بقوله " أن تكون همته عالية فلايرضى باليسير مع إمكان الكثير " ص ٦٢ . وبقوله أيضا " أن لايقنع من ارث الأنبياء بيسيره ، ولايؤخر تحصيل فائدة تمكن منها ، ولايشغله الأمل والتسويف عنها ، فان للتأخير آفات ، ولأنه اذا حصلها في الزمان الحاضر نفعته في الزمان الآت " ص ٧٦ .

والتربية الاسلامية كما يذكر بركات (١٤٠٢هـ) تدعو المتعلم الى أن " يتعلم مدى الحياة دون الوقوف عند حد معين طالما أن قدراته وامكاناته واستعداداته تسمح له بالتعليم المستمر ، وهذه الصفة من صفات التربية الاسلامية " ص ٩٨ ٠التي تدعو المتعلم أيضا الى أن يبعث نفسه على التحصيل والجد والمواظبة من خلال التأمل في فضائل العلوم ودقائقها وأن يبتعد عن التسويف في اشتغاله بالعلم وأن يثابر على تحصيله حتى تتحقق أهليته فاذا تأكدت معرفته فالأولى كما دعا العلموي (١٣٤٩ هـ) " أن لايدع فنا من العلوم المحمودة ، ولا نوعا من أنواعها إلا وينظر فيه ، ويطلع به على مقاصده وغايته ، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه ، والا اشتغل بالأهم فالأهم فان العلوم متقاربة وبعضها مرتبط ببعض ، والشخص يعادي من يجهله " ص ٦٢ ٠

ثم إن من واجب المتعلم عدم التقيد بعلم واحد كما يرى العلموي (١٣٤٩ هـ) بل عليه ملازمة حلقات العلم والمحاضرات والندوات العلمية ، وملازمة معلمه للاستفادة منه لأنه كما وصفه علي رضي الله عنه " كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها منفعة ٠٠٠ " ولايقتصر على سماع درسه فقط فان ذلك من قصور الهكمة ، بل يعتني بسائر الدروس شرحا وتعليقا إن احتمل ذهنه حتى كان كل درس منها له " ص ٧٦ ٠

ويتضح من توجيه العلموي أنه يرفض أن يتخذ المتعلم موقف السلبية في تعلمه مكتفيا بسماع مايلقيه المعلم على أسماعه وفي رأيه أن ذلك قصور يحول دون الوصول الى النتائج المرضية لتعلمه ٠

وعلى ضوء ما سبق فان المتعلمين مطالبون بتلقي العلم في جميع مراحل العمر وعلى مدى الحياة دون الوقوف عند حد معين ، الا أن المربين المسلمين ومنهم الامام العلموي (١٣٤٩هـ) يرون أن طلب العلم في الصغر أولى لقول ابن عباس رضي الله عنه : " ما أوتي عالم علما إلا وهوشاب " ص ٥٩٠

وهذا باعتبار الغالب وإلا فمن كبر لا ينبغي له أن يحجم عن الطلب فان الفضل واسع والكرم وافر الا أن من الأفضل في طالب العلم أن يكون شابا ، فارغ القلب ، غير مقبل على الدنيا ، صحيح المزاج ، شغوفا بالعلم ، متدينا وأن يكون نشطا يقظا وهذا مادعى اليه العلموي (١٣٤٩ هـ) حين أوجب على المتعلم " أن يغتنم وقت الفراغ وحال الشباب ، وقوة البدن ، ونباهة الخاطر وقلة الشواغل قبل عوارض البطالة وارتفاع المنزلة " ص ٥٨٠ وترد أقوال السلف حول هذا المعنى منها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " تفقهوا قبل أن تسودوا " أ تصيروا سادة فتستحوا من العلم ، وقول الشافعي رضي الله عنه : " تفقه قبل أن ترأس فاذا رأست فلاسبيل الى التفقه " وجاء عن السلف : مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر ، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء ٠٠ " (العلموي،١٣٤٩هـ ، ص ص ٥٨ - ٥٩)٠

وهذا أيضا مادعت اليه التربية الحديثة حين رأت أن البدء في طلب العلم في الصغر أولى لما له من خصائص السن الصغيرة ، حيث أن ذهن الطالب الصغير خال من الشواغل التي تحتل قدرا من النفس ، وقد ذهب (هربارت سبنسر) الى المسارعة في تعليم صغار السن لما لهم من قدرة أكبر على تلقي العلم ٠ ويوضح ذلك بأن الأطفال كائنات مرنة قابلة لأن تتشكل على نحو ما نريد لأنهم مهيأون لتلقي الانطباعات وحفظها ، ثم يشير الى دور التربية حيث يذكر أن قابلية التربية هنا مرتبطة بالعمر والظروف وطبيعة الطفل ٠ فكلما نضجت نفس الطفل واستوى طبعه أصبح أقل انفتاحا للمؤثرات الخارجية (عبدالدائم ، ١٣٨١ هـ ، ص ٤٦١)٠

ونخلص مما سبق أن من واجب طالب العلم أن يأخذ من كل علم أحسنه ،لأن العلم مجالاته واسعة ومتعددة ، وأن يصرف همته وجل عمره في العلوم النافعة في الآخرة ، وأشرف العلوم وغايتها علم معرفة الله ٠ ثم إن على طالب العلم

أن يغتنم مرحلة الشباب في طلب العلم ويبتعد عن التسويف والكسل فالعلم لاينالـه أحد إلا إذا صرف المتعلم جل وقته في طلبه قال العلموي (١٣٤٩ هـ) " العلم لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك " ص ٦٠ ٠ ولذا فحرى لطالب العلم أن يصرف كل وقته في طلبه وتحصيله ، ولايشغله عنه شاغل ، ولا يهمل دراسة أي علم من العلوم المحمودة سواء كانت دينية أو دنيوية بقدر يمكنه من معرفة أغراضها وما تبحث فيه فالعلم بحر لا قرار له ، وكلما تعمق طالبه فيه تفتحت فيه أبواب جديدة ، وتبينت له معالم كانت خافية تحتاج الى مزيد من البحث والتحقيق ٠

(٣) الصبر والتحمل :

الصبر لغة : الحبس والكف ، واصطلاحا : حبس النفس على مايقتضيه الشرع والعقل ، والصبر صفة من صفات الانسان المؤمن ، وسمة من سمات المبشرين ، ومن ثمرات الصبر أن الله يرزق العبد الصابر نعما كثيرة ،قال تعالى : ﴿ **ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ النحل ١٢٦ ٠ والصبر صفة من صفات الأنبياء والمرسلين قال تعالى في قصة أيوب عليه السلام :﴿**إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب**﴾ سورة ص ،آية ٤٤ ٠ ثم ان الله عز وجل ذكر الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعا ، وقرنه بالصلاة في قوله تعالى : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين** ﴾ البقرة ، ٤٥ ٠ والصبر ثلاثة أنواع هي : -

(١) الصبر على أداء الواجبات ، أي الصبر على الطاعة ودوام أدائها والقيام بحقها ٠

(٢) الصبر على المصائب من أن يجزع فيها٠

(٣) الصبر عن المصيبة ٠ أي الصبر عن اتباع أهواء النفس فيما نهى الله عنه ٠

هذا وقد وأوصى العلموي (١٣٤٩ هـ) طالب العلم التحلي بالصبر عند ضيق العيش لينال سعة العلم وتتفجر ينابيع الحكمة وعند كل ضائقة أو شدة ليفوز بالفلاح في الدنيا والآخرة فقال : على المتعلم أن يكون " الحلم والأناه والصبر جهده مطلقا في كل أحواله " ص ٦١ ، لأن من لم يصبر على مشقة العلم ساعة يبقى في ظلمات الجهل أبدا (الغزالي ، د.ت ، ص ٢٤٧) . وقد أحسن من قال :

من لم يذق طعم المذلة ساعة ∴ قطع الزمان بأسره مذلولا

(العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٦١)

ثم إن من آداب المتعلم في الاسلام أن يوطن نفسه على احتمال المتاعب ومواصلة عناء النهار بسهر الليل ، والصبر على مشاق الارتحال في طلب العلم ، كما أنه ليس المهم في العلم تعب البدن الذي هو منهى عنه من الوجهة التربوية حيث حذر العلموي (١٣٤٩ هـ) المتعلم من الافراط في انفاق الجهد وذلك بأن لا يحمل نفسه فوق طاقتها وأوصاه بالرفق فقال : " أن لايحمل نفسه في الاشتغال مالا طاقة له به مخافة الملل والسآمة ، بل يكون أمره قاصدا " ص ٦٣ ، وهذا يختلف باختلاف الناس وكل انسان آبصر بنفسه . فالمهم في احتمال المتاعب لطلب العلم تفريغ القلب للعلم وذلك بالتقليل من شواغل الدنيا المادية ، وصوارف الحياة الاجتماعية ، فان العلائق شاغله وصارفه ، كما أن الصبر المطلوب لطالب العلم مايلي : ـ

(١) أن يصبر على مشاق العلم في كل أحواله . فقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : لاينال العلم براحة الجسم . (العلموي ، ١٣٤٩هـ ، ص ٦١) . فالعلم يحتاج الى عناء وجهد ، ويحتاج من طالبه أن يقطع ماقدر عليه من العلائق الشاغلة والعوائق المانعة عن تمام الطلب ، وبذل الاجتهاد في التحصيل والتغرب عن الأهل والبعد عن الوطن لأن الفكرة اذا توزعت قصرت عن درك الحقائق

وغموض الدقائق وقد نقل الامام العلموي (١٣٤٩ هـ) مانقله الخطيب البغدادي عن بعض السلف قال : " لا ينال هذا العلم إلا من عطل دكانه ، وخرب بستانه ، وهجر إخوانه ، ومات أقرب أهله فلم يشهد جنازته . وهذا كله وإن كان فيه مبالغة فالمقصود به أنه لا بد فيه من جمع القلب واجتماع الفكر - ومما يدل على ذلك - قول الشافعي : " لو كلفت شراء بصلة لما فهمت مسألة " ص ٥٩ . ومن مشاق العلم الرحلة في طلبه أو في التأليف أو الاستزادة منه فالشافعي ، وابن حنبل ،والبخاري ومسلم وغيرهم من علماء الحديث والعلم قد سافروا ورحلوا في طلب الحديث وطلب العلم ، وكانوا يلاقون الشدائد والمشقة والمعاناة ولكن كانوا يصبرون على مشاق الارتحال في سبيل الحصول على العلم ، فعلى طالب العلم أن يكون صبورا ويعود نفسه على احتمال المتاعب ومشاق الارتحاق في طلب العلم .

(٢) أن يصبر على أستاذه ويحتمل شدته إن كان شديدا وغضبه إن كان غاضبا ولنا في قصة موسى مع الخضر أكبر برهان فقد صبر موسى على الخضر عليهما السلام . فقال له موسى : (**هل آتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا ؟**) **قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ؟ قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا** ... الآيات) سورة الكهف ، ٦٦ - ٧٠ . ومن هذه القصة يتضح صبر موسى على الخضر عندما صبر على التعب والسفر الطويل في سبيل الحصول على العلم . وقد قيل : من لم يصبر على ذل التعلم بقي عمرة في غاية الجهالة ، ومن صبر عليه آل أمره الى عز الدنيا والآخرة (العلموي ،١٣٤٩هـ ، ص ٦٦). وقال ابن عباس رضي الله عنه : ذللت طالبا فعززت مطلوبا (النووي ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٣٩) . ومن أقوال الشافعي رضي الله عنه

قوله " لايدرك العلم الا بالصبر على الذل " (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٥٩).

(٣) أن لايمتنع عن ملازمة أستاذه مهما حصل من جفوة أو شدة ،بل يصبر ويلازمه وهذا ما أوصى به العلموي (١٣٤٩ هـ) حين قال : " أن يصبر - المتعلم - على هفوة تصدر من شيخة آو جفوة آو سوء خلق ، ولا يصده ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته ، واعتقاد كماله ،... ويبدأ هو عند جفوة الشيخ - المعلم - بالاعتذار والتوبة والاستغفار وينسب الموجب اليه ، ويوقع العتب عليه فان ذلك أبقى لمودة شيخه وأحفظ لقلبه وأنفع في الدنيا والآخرة ... ، قال الشافعي رضي الله عنه :" قيل لسفيان بن عيينة : إن قوما يأتونك من أقطار الأرض تغضب عليهم يوشك أن يذهبوا ويتركوك فقال للقائل : هم حمقاء اذا تركوا ماينفعهم لسوء خلقي " ص ص ٦٥ - ٦٦ .

فعلى طالب العلم آن يحذر عن الاستغناء عن المعلم فان ذلك من فعل الجهال وعليه ملازمة أهل العلم ومعلمه وحلقات العلم والمحاضرات فانه لايزيده التحصيل الا خيرا وقد قال علي رضي الله عنه مخبرا عن فضل المعلم وفضل ملازمته : " ولا تشبع من طول صحبته فانما هو كالنخلة تنتظر متى تسقط عليك منه منفعة " (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص ٧٦) .

وبالصبر آيضا يحتمل المتعلم معاناة التعليم بكل جهد واخلاص وعزيمة وارادة وتصميم ليجني المتعلم ثمرتها مستقبلا . فالعلماء والمخترعون لم يصلوا الى ما وصلوا اليه من النجاح الا بعد الفشل مرات عديدة ولذا قيل : ولابد دون الشهد من آبر النحل " (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص ٦٢).

وقول الشاعر :

لاتحسب المجد تمرا أنت آكله ∴ لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وهذا ما يجب أن يتحلى به الطلاب حينما يتحملون الشدائد بالصبر في سبيل قيامهم بالتعلم ونشر التعليم . والاسلام يحث المسلم على أن يعمل بجد ونشاط ولا يهن ولا يحزن إذا ما قابلته شدة أو حصل له مكروه بل عليه تقبلها بكل صبر وايمان بالله والعمل على ازالتها أو تخفيف آثارها .

(٤) ملازمة تقوى الله مع الاشتغال بالتدبر والتفكر والاعتبار :

معنى التوقى : هي اتقاء عذاب الله بصالح العمل والخشية من الله تعالى في السر والعلن . وقيل هي أن لايراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك. (علوان ، ١٣٩٨ هـ ، ص ٣٦١). وتقوى الله هي منبع الفضائل الاجتماعية كلها ، والسبيل الوحيد في اتقاء المفاسد والشرور والآثام ، بل هي أيضا الوسيلة الأولى التي توجد في الفرد وعيه الكامل لدينه ودنياه ومجتمعه ولكل من يلتقي معهم من أبناء الحياة . هذا ومن تقوى الله لطالب العلم البدء بالقرآن الكريم دراسة وحفظا لأنه منبع جميع الفضائل وأساس التعليم ، قال العلموي (١٣٤٩ هـ) : " أن يبتدئ أولا من وفقه الله تعالى بحفظ كتاب الله العزيز حفظا متقنا ، فهو أصل العلوم وأهمها ،وكان السلف لايعلمون الحديث والفقه الا لمن حفظ القرآن " ص ٧٣ .

ثم ليعلم طالب العلم أن من تقوى الله الاجتهاد في عبادته ومنها التعليم الذي هو عبادة اذا صدقت النية في طلبه قال صلى الله عليه وسلم : طلب العلم فريضة على كل مسلم ... " (العلموي ،١٣٤٩هـ ،ص ٥). والاجتهاد في العبادة لله يعني الترجمة العملية لمشاعر المتعلم والمسلم نحو خالقه وخضوعه واستسلامه ، فهي حق الله على العباد لأنه خالقهم ومربيهم ففي الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : " كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي : يامعاذ ، أتدري ما حق الله على العباد ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولايشركوا به شيئا.." (البخاري ، ١٤٠٧ هـ ،ص ١٠٤٩). والعلم عبادة ، والعبادة كهدف أسمى

للتربية الاسلامية هي إيمان وعمل وعلم وخلق وليست مقصورة على الصلاة والزكاة والصوم والحج بل تشمل كل عمل صالح ومنه العلم الذي قال الامام الشافعي عنه " من طلب الدنيا فعليه بالعلم ومن طلب الآخرة فعليه بالعلم " (العلموي ١٣٤٩ هـ ، ص ٦) ٠

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " تعلموا العلم فان تعلمه حسنة ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وبذله قربة ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة " (ابن عبدالبر، د٠ت ، ص ٢٧) ٠ وعليه مادام العلم وطلبه عبادة تدل على تقوى الله فما أحرى طالب العلم بالاقبال عليه مع الاشتغال بالتدبر والتفكر والاعتبار وقد وجه العلموي (١٣٤٩هـ) طالب العلم الى ذلك حين قال : " أن يذاكر بمحفوظاته ، ويديم الفكر فيه ، ويعتني بما يحصل منه من الفوائد " ص ٧٤ ٠ والامام العلموي (١٣٤٩ هـ) كمربي تربوي أرشد المتعلم قبل أن يقدم على درسه أن " يقسم أوقات ليله ونهاره ، ويغتنم مابقي من عمره ، وأجود الأوقات للحفظ الأسحار ، وللبحث الابكار ، وللكتابة وسط النهار وللمطالعة والمذاكرة الليل " ص ٧٤ ٠

ثانيا : الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المتعلم مع معلمه :

(١) الارتباط والثقة بين المعلم والمتعلم :

لتوفير الجو المناسب للقيام بالعمل الذي تهدف اليه التربية لابد من توفر الثقة التي تربط المعلم والمتعلم برباط الود والمحبة والاحترام المتبادل وفي هذا ضمان لنجاح عملية التعليم ٠ ولكي يتم ذلك فقد نصح العلموي (١٣٤٩ هـ) المتعلم الى " أن يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه ، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه " ص ٦٣ ٠ كما اشترط لذلك مايلي :

(١) أن يكون معلمه ممن إكتملت أهليته في الاحاطة التامة بعلوم المعرفة التي يرغبها الطالب والتي يرغب التخصص فيها .

(٢) أن يكون ممن ظهرت ديانته وتحققت معرفته خوفا على العقيدة لأن الطالب عادة مقلدا لمعلمه ، ولأن ضرره في خلق المتعلم ودينه أصعب من الجهل الذي يطلب زواله وأشد ضررا .

(٣) أن يكون معلمه ممن عرفت عفته واشتهرت صيانته وسيادته وظهرت مودته ، وحسن تعليمه ، لأن تحقيق أهداف التعليم مرتبطة بحسن اختيار المعلم ، يقول ابن جماعة (١٣٥٤ هـ) " اذا سبرت أحوال السلف والخلف لم تجد النفع يحصل غالبا والفلاح يدرك طالبا الا اذا كان للشيخ (المعلم) من التقوى نصيب وافر وعلى شفقته ونصحه للطلبة دليل ظاهر " ص ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٤) أن لا يرغب الطالب فيمن زاد علمه ونقص ورعه أو دينه لقول بعض السلف : هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم . (العلموي ، ١٣٤٩هـ ، ص ٦٣) .

كما أنه متى آسست ووجدت تلك الروابط بين المعلم والمتعلم فانه سوف تكون مهمة كل منهما سهلة ، ومحببة الى النفس وبالأخص في حلقة الدرس وعند تلقي المعلومات . يقول ابن جماعة (١٣٥٤ هـ) اذا أحب الطالب معلمه أصبح " يسلك في السمت والهدى مسلكه ويراعى في العلم والدين عادته وتقيد بحركاته وسكناته في عاداته وعباداته ، ويتأدب بآدابه ،ولا يدع الاقتداء به " ص ١٠٨ ، ولذا يجب على المتعلم نحو اختيار ممن يأخذ عنه العلم أن يكون معلمه ممن له على العلوم الشرعية تمام الاطلاع وله مع من يثق به من مشايخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع لا ممن آخذ عن بطون الأوراق . قال بعض السلف : " ولا يأخذ العلم ممن كان آخذه له من بطون الكتب من غير قراءة على شيوخ أو شيخ حادق له معرفة تامة ولو بعلم واحد ، أو مشاركة في بعض العلوم خوفا من التصحيف والغلط " (العلموي، ١٣٤٩هـ، ص ٦٣) .

ثم إن طالب العلم يحتاج الى ملازمة المعلم والأخذ بتوجيهاته وإرشاداته والاستفادة منه ، لأن العلم سنة متبعة من أفواه الرجال وممن اتصفوا بجملة أوصاف تقدمت الا أن العلموي (١٣٤٩ هـ) يحذر من اختيار المعلمين إعتمادا على شهرتهم دونما تفكير في قدرتهم على التدريس وإفادة طلابهم فقد يتوفر الصلاح فيمن لم ينل حظه من الشهرة فقال : " وليحذر من أن يتقيد الطالب بالمشايخ المشهورين وترك الأخذ عن الخاملين " ص ٦٣ .

ويتضح مما سبق أن لوجود الارتباط الناتج عن الاحترام بين المعلم والمتعلم يتحقق مايلي :

(١) إن المعلم اذا كان محبا لتلاميذه فانهم يبادلونه الحب والتقدير والاحترام ، وأنه صاحب فضل ، ولايشعرون بأنه مجرد ملقن أوموصل للمعلومات حتى اذا ما إنتهى درسه معهم إنفصلت تلك العلاقة بينهما .

(٢) ان المعلم إذا توفرت فيه رحابة الصدر لتقبل استفساراتهم وتساؤلاتهم العلمية فان تلاميذه يجدون في شخصه الأخ أو الأب الروحي فيقبلون على المادة العلمية التي يلقيها أو يوجه اليها . وكم من تلاميذ أقبلوا على العلم والتعليم بشهية مفتوحة وتوثب الى التفوق والطموح بسبب معلمهم الذي يتبع طرق وأساليب رائعة ومحببة لدى التلاميذ ، ويكسب محبتهم واقبالهم للأخذ عنه ويجعلونه قدوة لهم تقودهم الى الارتباط والثقة بالعلم الذي يلقى اليهم مما يدفعهم الى محاولة تطبيقه ويظهر أثره على سلوكهم . وكذا الحال بالنسبة للمعلم فمتى لمس من طلابه الاحترام والرغبة في الأخذ عنه فان ذلك يدفعه الى تقديم كل مالديه ويجد في ذلك اجتهادا يقوده الى الاهتمام بالطالب ومحبته .

(٢) تقدير المعلم والاذعان لنصحه :

إن توقير وتعظيم المعلم من جانب المتعلم واجب جاءت به السنة النبوية ودعا اليه علماء المسلمين ، وذلك لأن المعلم للطلاب بمنزلة الأب لولده ولما خصه الله به من العلم وهيبته ومنحته التي حصل عليها. هذا ولقد كان للعلماء التربويين يد السبق في توجيه المتعلم حول تقدير المعلم والاذعان لنصحه ،فالامام العلموي (١٣٤٩ هـ) ينصح المتعلم أن " ينظر معلمه بعين الاعتبار والاجلال والاكرام ويعتقد فيه كمال الأهلية فان ذلك ينفعه " ص ٦٣. وقال بعض السلف : اذا توجه المتعلم الى معلمه تصدق بشيء . وقال : " اللهم أستر عيب معلمي عني ولاتذهب بركة علمه عني " (العلموي ،١٣٤٩ هـ ، ص ٦٤) .

ومن هنا يتضح أن المعلم له فضل كبير على المتعلم فهو الذي ينير قلبه بنور العلم ويبعده عن عمي الجهل والظلام . وعليه أن ينقاد لأمر معلمه في غير معصية الله. ثم إنه لولا الله ثم المعلم لانساق ماحصل من جهة الأب الى الهلاك الدائم ، وإنما المعلم هو المفيد للحياة الآخرة.

فينبغي لطالب العلم أن لايخرج عن رأي معلمه وتدبيره ،وأن يوقره ويكرمه ويعطيه مايستحق من التعظيم والاحترام ، لأن العلم لايحصل ولا ينتفع به الا بتعظيم العلم وأهله. قال الشافعي رضي الله عنه " كنت أصفح الورقة بين يدي مالك رحمه الله صفحا رفيقا هيبة له لئلا يسمع وقعها ، ... وقال الربيع : والله ما اجترأت أن أشرب ماء والشافعي ينظر هيبة له (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٦٤).

فالمعلم عندما يقف المتعلم بين يديه وعندما يظهر له الهيبة والوقار يكسب كل منهما روابط المحبة والاحترام المتبادل مما يكون له مردوداً حسنا في حياة كل منهما . فالمعلم يبوح بما لديه من معلومات وتوجيهات

وارشادات من نفس راضية حريصة على الخير والفلاح والفوز لهذا المتعلم الذي هو بدوره يقبل على تلقي هذه المعلومات ويكتسب الشيء الكثير عن معلمه والتي ذكر منها العلموي (١٣٤٩هـ) قوله :" انما للسر المودع فيه من العلم والتهذيب أخلاق الطلبة وصونهم عن التكبر وتخلقهم بالتواضع "ص ٦٤ ٠

(٣) التواضع :

من الآداب التي يجب أن يتحلى بها كل إنسان مسلم التواضع لله عز وجل ومع الناس في معاملته وتصرفاته ٠ فالمتعلم يجب عليه أن يتصف بالتواضع مع الله أولا ثم مع معلمه وتعليمه ، قال الامام العلموي (١٣٤٩هـ) موصيا المتعلم على تقدير المعلم والتواضع له تقديرا لما خصه الله بن من العلم أن " يتواضع له ويذل ويعلم أن ذلته لشيخه - معلمه - عز ، وخضوعه له فخر وتعظيم حرمته مثوبة ، والتشمير في خدمته شرف " ص ٦٤ ٠

ولكي يكسب المتعلم العلم فعليه أن لا يتعاظم ولا يتعالى على معلمه ، أو يستغني عن علمه ، بل يحترمه ويقبل عليه ويلقى اليه السمع وقد قيل " لاينال أحد العلم الا بالتواضع والقاء السمع " (الغزالي ،١٩٨٤م ،ص ٢٨) ، كما يتطلب منه الى جانب التواضع أن يكون مؤدبا وقورا ينظر الى معلمه نظر الاحترام والتقدير ، ولايتكبر على علمه بل يذعن لنصائحه وإرشاداته اذعان المريض الجاهل للطبيب العالم٠ قال الامام الغزالي (د٠ت)" فليكن المتعلم لمعلمه كأرض دمثة نالت مطرا غزيرا فشربت جميع أجزائها ، وأذعنت بالكلية لقبولة ، ومهما أشار عليه المعلم بطريق في التعليم فليقلده وليدع رأيه ، فان خطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها " ص ٤٩ ٠ وهذا واضح من قصة موسى مع الخضر عليهما السلام عندما نبه الله عز وجل بذلك على لسان الخضر عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ **إنك لن تستطيع معي صبرا** ٠٠٠الآيات﴾وهذه القصة مشهورة في سورة الكهف من آية ٦٠ الى ٨٦ اذ أنه مع علو قدر موسى كليم الله

في الرسالة والعلم فقد إشترط عليه السكوت فقال : ﴿ **لا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا** ﴾ الكهف ، ٧٠ ٠ وقد أخذ ابن عباس رضي الله عنهما مع جلالته ومزيته بركاب زيد بن ثابت رضي الله عنه وقال : " هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا " (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٦٤) ٠

كما أن التكبر والتعالي على العلم والعلماء سبب الى الهلاك والندامة والجهل ، ولم يفلح طالب علم اتصف بها قال الشافعي رضي الله عنه :"لايطلب أحد العلم بالملك وعز النفس فيفلح ، ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح " (النووي ، د٠ت ، ص ٦٤) ٠ وهذا القول دال على التواضع في سبيل الحصول على العلم ومن تواضع لله رفعه وبالأخص طالب العلم الذي سيحمل رسالة الأنبياء ، قال ابن عبد البر (د٠ت):" المتواضع من طلاب العلم أرفع الناس في المنزلة والاحترام " ص ١٤٢ ٠ ويقال ان الشافعي رحمه الله عوتب على تواضعه للعلماء فقال :

أهين لهم نفسي فهم يكرمونها ∴ ولن تكرم النفس التي لاتهينها

ونخلص مما سبق الى أن طالب العلم يجب أن يتصف بما يلي :

(١) الاقبال على العلم والسعي وراءه للحصول على أكبر قدر من المعرفة٠

(٢) التواضع للمعلم ورفاقه مهما كانت منزلته العلمية والاجتماعية ٠

(٣) البعد عن التكبر والتعالي على الآخرين وعلى العلماء لأنها سبب الهلاك ٠

(٤) لين الجانب والمحبة للمعلم يكسب المتعلم زيادة في المعرفة ٠

(٤) حسن السؤال لمعلمه واجتناب فضول الكلام :

للسؤال في نظر العلموي (١٣٤٩ هـ) قيمة علمية ، وبالأخص إذا كان في موضوع يستحق المسائلة ، وصيغ صياغة حسنة وكان القصد منه المعرفة والثقافة ، لا الاعنات والمضايقة حيث يقول رحمة الله : " أن لايسأل - المتعلم - عن شيء في غير موضعه ، ففاعل ذلك لايستحق جوابا ، إلا أن يعلم من حال الشيخ - المعلم - أنه لايكره ذلك ويغتنم سؤاله عن طيب نفسه وفراغه ، ويتلطف في سؤاله ليحسن في جوابه " ص ٧٠ .

وهذه الصفات التي يلزم المتعلم أن يتصف بها هي من الوجهة التربوية ذات قيمة تعود على المتعلم بالخير الكثير ، فاذا كان السؤال حول موضوع الدرس فان المتعلم يستحق عليه جوابا ، أما اذا كان خارجا عنه فانه لايستحق جوابا لأن ذلك يشتت فكر معلمه ورفاقه .

وفي صياغة حسن السؤال دليل على حسن الفهم لواجب المعلم نحوه مما يستحق حسن الجواب على مسألته بكل جوانبها تقديرا له على ذلك ثم انه ليس من تقدير المعلم ترك سؤاله عما أشكل عليه حياء منه فان ذلك ليس من الحياء المحمود وإنما هو ضعف ومهانة وفي ذلك يوجه العلموي (١٣٤٩هـ) طالب العلم " أن لا يستحي من السؤال عما أشكل عليه ، بل يستوضحه أكمل إستيضاح ، فمن رق وجهه رق علمه ، ومن رق وجهه عند السؤال ظهر نقصه عند اجتماع الرجال " ص ٧٠ . وهذا يعني أن على المتعلم اذا أراد أن يستخرج مافي صدور المعلمين من العلم فعليه بمسائلتهم ، وأن يتلطف في ذلك قال ابن شهاب الزهري : " العلم خزائن ومفاتحه المسألة .... وقيل أيضا : أربعة لا يأنف الشريف منهن وان كان أميرا : قيامه من مجلسه ، وخدمته للعالم الذي يتعلم منه ، والسؤال عما لايعلم ، وخدمته للضيف " (العلموي، ١٣٤٩ هـ ، ص ٧٢). وفي هذ فائدة للمعلم نفسه ، ليظهر المخبوء من علمه ويحيا وينشر مالديه من علم ومعرفة الى من يطلب العلم ويبحث عنه . أما

فائدته للمتعلم فهو معرفة مايجهل وتأكيدا لما يعلم ، ويستوثق مما يشك فيه ، ومن لم يسأل فقد أضاع على نفسه علما كثيرا . كما أن المعلم الجيد هو الذي ينمي حب السؤال في الطالب ، ولا يكبح جماح حب الاستطلاع والتشويق الى المعرفة ، بل يشجعه على ذلك لأن هذا يفتح أمامهم آفاق جديدة لتلقي العلم وفهمه ، والطالب النابه لايقرأ ولا يسمع الا ليعي ويفهم ويسأل ويراجع وهذا مما ينبغي أن نغرسه في أبنائنا الطلاب ويعطي أيضا قدرا كافيا من الحرية حتى يبدي رأيه وتفكيره دون خوف أو رعب . ومن هنا ينشأ لدى الطالب الاستقلال الفكري والعلموي ويتعودوا على الاعتماد على أنفسهم مع ضرورة متابعة المعلم لهم حتى يصلوا الى مرحلة النضج الفكري والعلمي .

وهذا ما جعل الامام العلموي الى جانب تحريضه الطالب على سؤال معلمه وابداء رأيه أن يتمسك بآداب السؤال التي أشار اليها الامام علي كرم الله وجهه بقوله : " ان من حق العالم أن لاتكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا أعرض ولا تأخذ بثوبه اذا كسل ، ولاتشير اليه بيديك ، ولا تغمزه بعينك ولا تغمز بعينك غيره ، ولا تسار في مجلسه ،ولا تطلب زلته وان زل فاقبل معذرته ، ولا تقل قال فلان خلاف قولك وأن تحفظه شاهدا وغائبا .. وعليك أن توقره لله تعالى .. (العلموي ،١٣٤٩هـ ،ص٦٨) وهي وصية جامعة لكثير من الفضائل التي يجب أن يتحلى بها المتعلم تجاه معلمه ومنها قوله : " أن لاتكثر عليه بالسؤال " توجيه الى أن للسؤال آداب يتطلب من المتعلم أن يلتزمها مع معلمه سواء داخل الفصل أو خارجه .

هذا مايتعلق بحسن السؤال وأهميته بدافع المعرفة والثقافة ، أما من ناحية اجتناب فضول الكلام وحسن الخطاب مع المعلم فان من الآداب التي وجه اليها علماء التربية قديما وحديثا هي أن يحسن طالب العلم الصمت في موضعه وحسن الكلام والسؤال في موضوعه قال الامام العلموي (١٣٤٩ هـ): على طالب العلم " أن يحسن خطابه مع الشيخ - المعلم - ما أمكنه ولايقول له :

لم ؟ ولا نسلم ، ولا من نقل هذا ، ولا أين موضعه ؟ فان أراد استفـــادة أصله أو من نقله ، فيراجعه بلطف في مجلس آخر بحسن الأدب ولطف العبارة "ص٦٩ هذا مايلزم المتعلم تجاه معلمه من حسن المعاملة وعدم مضايقته بكثـــرة الكلام الذي لافائدة فيه بل عليه أن يلتزم الهدوء ويحسن الخطاب مع معلمه ويلازمه لأنه كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها منفعة " (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٦٩) ٠

تلك آداب الطالب مع المعلم في أحوج طلاب العلم في وقتنا الحاضر الى الاطلاع عليها ودراستها وتطبيقها في حياتهم الدراسية ، فهي تجسيد واقعي لأخلاقنا الاسلامية المستمدة من كتاب الله وهدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولايتحقق نجاح لطلاب العلم الا بالعمل بها والتمسك بآدابها ٠

ثالثا : الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المتعلم أثناء درسه :

(١) التهيؤ للدرس والاستفتاح بما هو مشروع :

من الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم أثناء الدرس أن يكون كامل الهيئة بحيث يلبس أحسن ثيابه ، ويتجنب الروائح الكريهة إحتراما لمجلس العلم ، وقد حث الدين الاسلامي على أخذ الزينة عند كل صلاة لكونها عبادة فقال تعالى : ﴿ **يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** ٠٠﴾الأعراف ٣١٠ والعلم وطلبه عبادة اذا صدقت النية يتطلب من طالبه أن يكون كامل الهيئة بعيدا عن كل مايشينه ٠ ولهذا وجه العلموي (١٣٤٩هـ) طالب العلم عند تلقيه للدرس الى عدة أمور منها : -

(١) اكتمال هيئته من لبس ونظافة وتسوك وازالة للروائح الكريهة ففي ذلك تحقيق للصحة البدنية للمتعلم أثناء الدرس (العلمـــوي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٢٩) ٠

(٢) الابتعاد عن كل مايشغل القلب والذهن حتى يستطيع أن يستوعب الدرس ، ويقبل عليه وقد قيل : " ان العلائق شاغلة والعوائق مانعة عن تمام الطلب " (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٥٩) .

(٣) الاقبال على العلم بنفس راضية وصدر منشرح ، لأن ذلك أكثر تفهما للدرس واقبالا عليه بعيدا عن النعاس والغضب والجوع والعطش ، وضيق الصدر من كدر أو غم أو ملل أو سآم لأن ذلك يسبب نفور من الدرس وعدم تقبل للعلم . ولذلك قال العلموي (١٣٤٩هـ): " ولا يقرأ على الشيخ - المعلم - عند شغل قلبه وملله ونعاسه وجوعه وعطشه واستيفازه وآلمه وقائلته ونحو ذلك مما يمنعه من استيفاء الشرح " ص ٦٦ .

(٤) الاستفتاح بما هو مشروع كالاستعاذة والبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والدعاء للمعلم ولوالديه ومشايخه وللعلماء ولسائر المسلمين (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٧٨). وقد جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل أمر ذي بال لايبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم أقطع ، وكذا كل أمر لا يفتتح فيه بالحمد لله رب العالمين أقطع (السمعاني ،١٤٠١ هـ ،ص ص ٥١ - ٥٢).وهذا العمل يقوم به المتعلم عند ابتدائه في درسه وقراءته من كتاب قال العلموي (١٣٤٩هـ) مرشدا المتعلم الى ذلك : " كذلك يفعل - أي الاستفتاح بما هو مشروع - كلما شرع في قراءة درس أو مطالعة أو مقابلة ... فان ترك الطالب الاستفتاح بما ذكرناه جاهلا أو نسيانا ذكره الشيخ - المعلم - أو علمه اياه ،فانه من أهم الآداب " ص ٧٨ . ولذا فانه يتطلب من طالب العلم أن يسلك طريق الأخيار والسلف الصالح في الالتزام بالآداب والأدعية

المشروعة فان ذلك بركة للعلم الذي يتعلمه صاحبه ويمارسه في حياته اليومية لينال به الأجر والثواب من الله عز وجل ٠

(٢) الحضور مبكرا الى محل الدرس وحسن الاستماع له :

من الأمور التي دعا اليها العلموي (١٣٤٩ هـ) طالب العلم الحضور الى مكان الدرس قبل دخول المعلم فقال : " أن يجتهد على أن يسبق في الحضور الى المجلس قبل حضور الشيخ - المعلم - ويحمل نفسه على ذلك ٠٠٠ ولايتأخر بحيث يجعل الشيخ - المعلم - في انتظاره فان فعل ذلك من غير ضرورة عرض نفسه للذم " ص ٦٦ ٠ وقد ورد في الحديث مايدل على فضل البكور في طلب العلم حيث قال صلى الله عليه وسلم " اغدوا في طلب العلم فاني سألت ربي أن يبارك لأمتي في بكورها " وقوله صلى الله عليه وسلم " بورك لأمتي في بكورها " (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص ٦٦)٠

ومن هنا يتضح أن من واجب المتعلم أن لايتقاعس في طلب العلم ،وأن يكون ذا همة عالية ، نشيطا لايتأخر عن درسه بل يحضر مبكرا قبل معلمه٠

كما يلزم طالب العلم عند الدرس حسن الاصغاء والاستماع للمعلم لتتم الاستفادة وليشعر معلمه باهتمامه لطلب العلم قال العلموي (١٣٤٩هـ):على المتعلم " أن يلقى السمع وهو الشهيد لما يلقيه الشيخ - المعلم - بحيث لا يحوجه الى اعادة الكلام ولايلتفت عنه يمينا ولا شمالا وفوقا وتحتا ،وأماما ووراء من غير ضرورة " ص ٦٨ ٠

ومن الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم أثناء الشرح والقاء الدرس مايلي :

(١) أن يحسن الاصغاء والفهم للدرس ومتابعة كل مايقال من معلمه أثناء شرحه أو قراءته للحصول على الفائدة ولايقصر في ذلك٠

(٢) أن لايشغل ذهنه بفكر أو حديث ثم يستعيد المعلم ماقاله لأن ذلك اساءة أدب . قال العلموي (١٣٤٩ هـ) " أما اذا لم يسمع كلام الشيخ – المعلم – لبعده ، أو لم يفهمه مع الاصغاء اليه والاقبال عليه فله أن يسأل الشيخ – المعلم – اعادته وتفهيمه بعد بيان عذره بسؤال لطيف " ص ٧٠ . وذلك لأن طلب الاعادة قد يضجر منه المعلم قال الزهري : " اعادة الحديث أشد من نقل الصخر " (العلموي، ١٣٤٩هـ، ص ٧٠) .

(٣) ينبغي أن لايضطرب المتعلم عند سماع صيحة ونحوها .

(٤) النهي عن العبث باليدين في الأنف أو وضعها على اللحية أو الفم أو تشبيك الأصابع وقت الدرس لأنها تشغل عن الفهم ومتابعة الدرس.

(٥) ترك كل مايزعج ويلفت النظر كالتنحنح وكثرته من غير حاجة .

(٦) النهي عن التمخط والبصاق والتنخع ما أمكنه ، واذا لزم أخذها بمنديل ونحوه من فمه .

(٧) ينبغي أن يخفض صوته عند العطاس وستر الوجه بمنديل واذا تثاءب ستر فاه بعد رده جهده لأن ذلك يؤذي معلمه ويؤذي الحاضرين ويزعجهم .

(٨) يلزمه أثناء الدرس أن يكون ساكنا وقورا في جلوسه مع معلمه لأن كثرة الحركة خلال الدرس تزعج وتشتت الانتباه .

(٩) أن لا يسار أحد في مجلس المعلم ولو في مسألة .

(١٠) أن لايؤذى أحد في المجلس بغمزة أو كثرة كلام بغير ضرورة أو ما يضحك أو يتضمن سوء أدب (العلموي ،١٣٤٩ هـ ، ص ٦٨) .

وهذه الآداب والتي قد لاتخفى على أدنى أدب طبيعي ، الا أنها من باب أولى يجب أن يلتزم بها المتعلم في مجلس العلم ومع معلمه ، حتى ولو كان يحفظ تلك المسألة ، أو مايلقيه المعلم من درس أو فائدة فعليه أن يحسن الاصغاء والاستماع أدبا مع المعلم والدرس ولهذا قال العلموي (١٣٤٩ هـ)

" واذا سمع الشيخ - المعلم - يذكر حكما في مسألة أو فائدة مستغربة أو يحكي حكاية ، أو ينشد شعرا وهو يحفظ ذلك أن يصغي اليه اصغاء مستفيدا متعطشا اليه فرحا به كأنه لم يسمعه قط " ص ٦٩ . لأن ذلك لايزيده الا علما يقول ابن جماعة (١٣٥٤ هـ) ناصحا المتعلم الى حسن الاستماع والحفظ بقوله : " ولا يستقل بفائدة يسمعها أو يتهاون بقاعدة يضبطها بل يبادر الى تعليقها وحفظها " ص ١٣٣ . ومن أقوال السلف حول حسن الاستماع للمعلم وعدم مقاطعته أو اظهار معرفته للمسألة أو الدرس قبل المعلم أو مسابقته في الحديث قول عطاء : " اني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه فأريه من نفسي أني لا أحسن منه شيئا ، وعنه قال : ان الشاب ليتحدث بحديث فاستمع له كأني لم أسمعه ، ولقد سمعته قبل أن يولد " (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٧٠) . ونخلص مما سبق أنه يتطلب من طالب العلم مايلي : -

(١) الحضور الى مقر الدرس قبل المعلم فان ذلك أصلح له ولمعلمه .
(٢) التأدب بالآداب السنية أثناء الدرس احتراما للمعلم وللدرس وللآخرين .
(٣) حسن الاستماع للدرس والاقبال عليه وحسن الكلام مع المعلم والسؤال اذا دعت الحاجة الى ذلك .

وهذا مايجب أن نغرسه في نفوس أبنائنا الطلاب ونربيهم عليه لأنه أدعى الى التفهم للدرس واكتساب أكبر قدر من المعلومات .

(٣) مراعاة حقوق الآخرين والتأدب بآدابهم :

ديننا الحنيف يربط المسلم بأخيه المسلم بالمحبة والأخاء ، ويدعو المسلم الى احترام مشاعر أخيه المسلم في عدة أمور منها طريقة الاستئذان ، والجلوس في المجلس ، واحترام الصغير للكبير وغيرها من الأمور الدالة على روابط الأخوة والاحترام . ومن هذا المنطلق فان الامام العلموي يدعوالمتعلم

الى احترام مشاعر زملائه في الدرس ويتأدب بآدابهم ومن هذه الآداب التي دعا اليها مايلي :

(١) أن يبدأ المتعلم بالسلام على الحاضرين بصوت يسمعهم حال دخوله الى مقر الدرس لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " حق المسلم على المسلم ست قيل ماهن يارسول الله قال : اذا لقيته فسلم عليه واذا دعاك فأجبه واذا استنصحك فانصح له واذا عطس فحمد الله فشمته ، واذا مرض فعده ، واذا مات فاتبعه " (صحيح مسلم ، ١٣٩٢هـ ، الجزء ١٤ ، ص ١٤٣) .

(٢) النهي عن تخطي رقاب زملائه اذا كان في حلقة علم بل يجلس حيث ينتهي به المجلس لقول جابر بن سمرة رضي الله عنه قال :" اذا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم جلس أحدنا حيث ينتهي " (السمعاني ، ١٤٠١ هـ ، ص ١٢٣) . كما أنه مما وجه اليه العلموي طالب العلم أن لايقيم غيره ويجلس مكانه وكان ابن عمر رضي الله عنهما اذا قام له الرجل من مجلسه لم يقعد فيه ، وهذا ورع منه لأنه ربما استحى منه انسان أو زميله في الدرس فقام من مجلسه من غيرطيب قلبه فسدا ابن عمر الباب ليسلم ، وهذا هو ما دعى اليه العلموي طالب العلم من أدب مجلس الدرس استنادا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال : " لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه " . وزاد في رواية أخرى لابن عمر رضي الله عنهما .. ولكن تفسحوا وتوسعوا " (البخاري ، ١٤٠٧ هـ ، المجلد الخامس ، ص ٢٣١٣). كما أن من أدب الجلوس في الدرس أن لا يجلس المتعلم بين أخوين ، أو قريبين الا برضاهما ، وعليه الترحيب بالقادم من زملائه أو رفيقه والتوسع له في المجلس واكرامه بما يكرم به مثله

(العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٧٧) لأن ذلك أدعى الى تآليفه وشعوره القادم بمحبة الآخرين له .

(٣) أن لايتكلم أثناء درس غيره - أي عند كلام المعلم مع غيره - بما لا يتعلق به أو يقطع عليه حديثه . قال بعض الحكماء :" من الأدب أن لايشارك الرجل في حديثه وان كان أعلم به منه " (العلموي ١٣٤٩ هـ ، ص ٧٧) . فحرى لطالب العلم بالتأدب بهذه الآداب وغيرها احتراما لمعلمه وللدرس ولرفاقه حتى يستطيعوا أن يصلوا بأنفسهم وبالعلم الى الغاية المطلوبة والمرجوة وهذا ما يجب أن نغرسه أيضا في نفوس أبنائنا الطلاب في مدارسنا حتى ننمي الانضباط الذاتي لدى الطلاب ونعودهم على الالتزام به .

(٤) **استحضار جميع مستلزمات الدرس من أدوات الكتابة وغيرها :**

ينبغي أن يكون طالب العلم مستفيدا في كل وقت حتى يحصل له الفضل والكمال في العلم وطريق الاستفادة كما يرى العلموي (١٣٤٩ هـ) " أن يعتني بتصحيح درسه ... ولا يحفظ ابتداء من الكتب لأنه ربما يقع في التحريف والتصحيف ، ويحضر معه الدواة والسكين للتصحيح " ص ٧٤ . أي يحضر معه أدوات الكتابة التي تلزمه للتعليق على نص أو كتابة فائدة يسمعها وقد قال صلى الله عليه وسلم " قيدوا العلم ، قلت وما تقييده ؟ قال كتابته . وكان رجل من الأنصار يجلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فيسمع منه الحديث فيعجبه ولا يحفظه ، فشكى ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم : استعن بيمينك وأومأ بيده أي خط " (العلموي ، ١٣٤٩هـ ، ص ص ٧٥ ، ٧٦) .

ومن هنا يتطلب أن يكون مع طالب العلم المحبرة والقلم والورق وقد جاء عن بعض السلف قول الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وقد أقبل أصحاب

الحديث وبأيديهم المحابر فأومى اليها وقال هذه شرح الاسلام .

وفي وقتنا الحاضر نرى وسائل الكتابة على مختلف ألوانها وأشكالها متوفرة ولله الحمد يلزم طالب العلم أصطحابها معه لتدوين مايلزمه أو ما يسمع من فائدة أثناء الدرس أو مايطلب منه معلمه التعليق عليه دون أن تضيع عليه فائدة هو في حاجة اليها ، أو يشغل زميله في مجلس العلم أو في الصف بطلب هذه الأدوات لأنه قد يضيع الفائدة عليه وعلى زميله .

وخلاصة القول أن المتعلم عنصر رئيسي الى جانب المعلم في العملية التعليمية ويتطلب منه آداب وأخلاق تعينه على طلب العلم وتحصيله ، ومن بين هذه الآداب التي أدركها الامام العلموي مايلي :

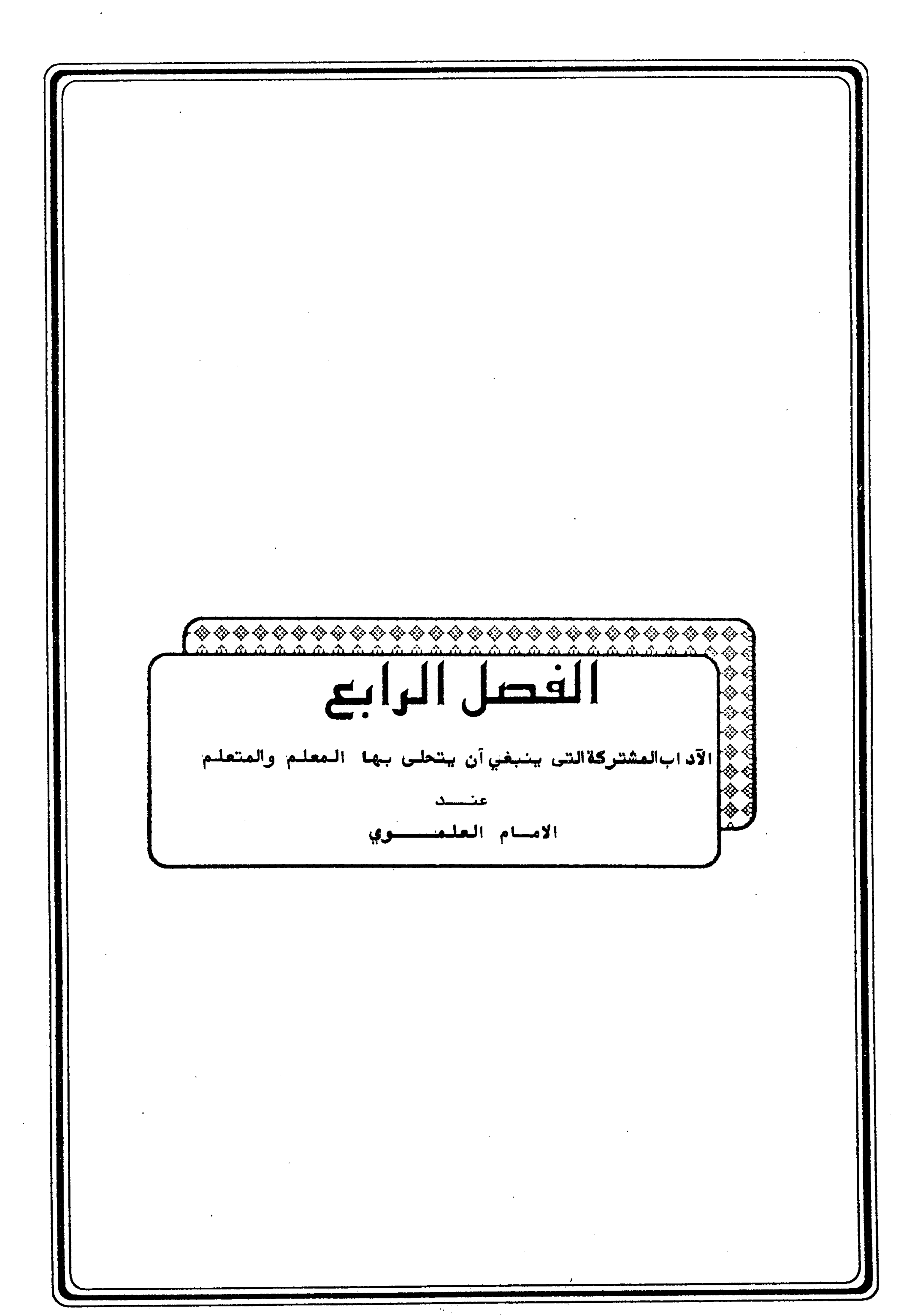
(١) ملازمة تقوى الله ، وتطهير النفس عن الرذائل ، والابتعاد عن المعاصي .

(٢) لكي يتم التعلم في جو مناسب وروح من التعاطف يجب أن يكون المتعلم حسن الخلق وأن تكون صلته بمعلمه جيدة بحيث ينظر اليه بعين الاحترام ويعتقد فيه كمال الأهلية لأن ذلك ينفعه .

(٣) ان التعلم لايتم الا بتحمل المشقات ، والمكاره فمن واجب المتعلم أن يكون صبورا ويتحمل كل المصاعب في سبيل العلم والتعلم ، ويتحمل أخطاء معلمه ان وقعت بسعة صدره .

(٤) أن لايتعاظم أو يتعالى على معلمه وأن يحسن الصمت في موضعه ، الكلام والسؤال في موضعه .

(٥) أدرك العلموي أن من الآداب التي تعيق المتعلم على طلب العلم ، أن يسلك المتعلم طريق الأخيار والسلف الصالح في الالتزام بالآداب والأدعية المشروعة ، دون أوامر معلمه أو اجبار بل بوازع داخلي في نفس المتعلم .



الفصل الرابع

الآداب المشتركة التى ينبغي أن يتحلى بها المعلم والمتعلم

عنـــد

الامــام العلمـــوي

بعد أن أوضحنا الآداب التي يختص بها المعلم والآداب التي يختص بها المتعلم هناك آداب ينبغي أن يتحلى بها كل من المعلم والمتعلم ومن هذه الآداب : -

(١) إخلاص النية لله قولا وفعلا :

النية هي مدار الأعمال وأساسها ، ويتضح صفاء النية في ابتغاء وجه الله أولا وقبل كل شيء وقد ذكر البخاري (١٤٠٧ هـ) في صدر صحيحه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه عمر بن الخطاب حين قال : انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه " ص ٣٠ ٠ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " إنما طعي الرجل على قدر نيته " (النووي ،١٤٠٤ هـ ،ص ٢٧)٠

والامام العلموي يوجه كل من المعلم والمتعلم الى أن لايقصد بعلمهما توصلا الى أي غرض من أغراض الدنيا من مال أو رئاسة أو شهرة أو سمعه ، أو ارتفاع على أقرانه ،أو ثناء عند الناس (العلموي ،١٣٤٩هـ ،ص ٢٦)وذلك لأن عاقبة طلب العلم لهذه الأغراض الدنيوية الخسارة وحرمانه الثواب الدائم في الدنيا والآخرة ، فلقد قال سفيان بن عيينه " كنت أوتيت فهم القرآن فلما قبلت الصرة من أبي جعفر سلبته ٠ وعن أبي يوسف قال : ياقوم أريدوا بعلمكم الله ، فاني لم أجلس مجلسا قط أنوي فيه أن أتواضع الا لم أقم حتى أعلوهم ، ولا أجلس مجلسا قد أنوي فيه أني أعلوهم الا لم أقم حتى أفتضح " (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٢٦)٠

ومن هنا فان أهل العلم يحذرون المربي وطالب العلم من الانغماس في ملذات الحياة ، لأن الدنيا تسحر قلوب المربين وطلاب العلم والعلماء ،ذكر ابن القيم (د٠ت) " ٠٠٠ قال الامام أحمد : حدثنا سيار ،حدثنا جعفر

قال : سمعت مالك بن دينار يقول : اتقوا السحارة ، اتقوا السحارة ،فانهـا تسحر قلوب العلماء " ص ١٨٦ ، فمن حماه الله من الزيغ وأبعده عن شهوات الدنيا يجب عليه أن يحمد الله على ما أعطاه ويشكره على ما أولاه . ومن وقع في الأهواء والنزوات على اختلافها كالأخذ بظواهر الشريعة ، وعدم تطهير النفس من الرذائل الخلقية كالكبرياء والرياء ، وعدم تطهير اللسان وحمايته ، وعدم صون الجوارح أو العمل بعلم لايحتاجه كلها أمور قد يقع فيها طالب العلم وحامله فتبعده عن الغاية الشريفة للعلم التي يطلب لأجلها .

ومن هنا فانه يتطلب من المعلم والمتعلم أن يسلكا سلوك الأخيار الفضلاء ، فليست النزاهة في أن يسلك المعلم والمتعلم سلوكا يقره عليه الناس فحسب ، بل تتحقق النزاهة له حين لايعرض نفسه للتهم ، واذا صادف وفعل ماظنه خروجا عن الأدب وصلاح النية سارع وبين وجه فعله وذلك لسببين ذكرهما العلموي في كتابه (١٣٤٩هـ) هما :

(١) ان عدم فعله ذلك وتجنبه مواضع التهم يعرض نفسه وعرضه للوقوع في الظنون المكروهة .

(٢) انه اذا اتفق له وقوع شيء من ذلك لحاجة أخبر من شاهده وأصحابه بحقيقة ذلك وبحكمه وبعذره ومقصوره لأن لا يأثموا بظنهم الباطل ولئلا ينفروا عنه " ص ٣١ .

ويرى العلموي (١٣٤٩ هـ) انه يتطلب من طالب العلم " أن يكون زاهدا في الدنيا غير مبال بفواتها ، ومقصد في مطعمه وملبسه وأثاثه ومسكنه غير مترفه تشبيها بالسلف ، ويتأكد في حق الطالب أن يقلل علائقه من أشغال الدنيا ، ويبتعد عن الأهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة " ص ٣٢ . ويؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** ﴾ الأحزاب، آية ٤ . كما يرى الامام العلموي أيضا أن يكون المعلم والمتعلم منقبضين عن الملوك وأبناء الدنيا اقتداء بالسلف وحفاظا على العلم ، لأن العلم أمانة عندهما ،

والله عز وجل حث على الأمانة وأنب من خانها قال تعالى :﴿ **لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾ الأنفال ٢٧ .

وقد أعدها بعض سلف هذه الأمة من لوازم ايمان المؤمن حيث قال ابن حنبل (د.ت) " لا ايمان لمن لا أمانة له " ص ١٣٥ ، ثم ان الله امتدح بالأمانة المؤمنين فقال تعالى : ﴿ **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** ﴾ المعارج ٣٢ .

(٢) المحافظة والالتزام بشعائر الاسلام :

إن المحافظة على هذه الشعائر تظهر ضرورتها وأهميتها بالنسبة للمعلم والمتعلم لأنهم هم القدوة واليهم المرجع بعد الله في الأحكام وهم حجة الله على العوام (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص ٢٧) ، فالمعلمون والمتعلمون مطالبون بالالتزام بظواهر الأحكام كاقامة الصلاة في جماعة ، وافشاء السلام للخواص والعوام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصبر على الأذى بسبب ذلك لايخاف في قول الحق لومة لائم ذاكرا قوله تعالى ﴿ **واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور** ﴾ لقمان ، ١٧ . وعليهم أيضا القيام بتعاليم الاسلام في الباطن والظاهر وفي السر والعلن ، إبتداء من الواجبات والفرائض وانتهاء بالسنن وإخماد البدع . كما أن مايترتب على زلة المعلم من آثار سلبية على العامة تؤدي الى انعكاسات لاتتناسب مع شرف ما هم في طلبه ، ولذا يرى العلموي (١٣٤٩ هـ) " إن زلة العالم عظيمة لما يترتب عليها من المفاسد لاقتداء الناس به " ص ٢٧ . والمعلم إذا لم ينتفع بعلمه فغيره أبعد عن الانتفاع به . قال الامام الشافعي رضي الله عنه " ليس العلم ماحفظ العلم مانفع " (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٢٧).

واذا كانت الصفات السابقة ضرورية لكل أفراد المجتمع ، فهي أشد ضرورة لكل من المعلم والمتعلم لأن عملهما بالنسبة للناحية الدينية

والاجتماعية يفرض عليهما السلوك المثالي حتى يقوما بدورهما في المجتمع .
ومن هنا يذكر العلموي (١٣٤٩هـ) أن على العلماء أن" يأخذوا بالأكمل فان العلماء هم القدوة واليهم المرجع في الأحكام وهم حجة الله على العوام ،وقد يراقبهم للأخذ عنهم من لا ينظرونه ، ويقتدى بهديهم من لا يعلمونه " ص ٢٧ .

ومن الملاحظ أن الامام العلموي يشدد على مسئولية المعلم وطالب العلم تجاه نفسهما من ناحية ، وتجاه مجتمعهما من ناحية أخرى ، حيث هما القدوة والمثال الذي يحتذى والأداة الفاعلية والمحركة ، ومن واجبهما أيضا ملازمة الآداب الشرعية كتلاوة القرآن وذكر الله بالقلب واللسان ، والدعوات والأذكار آناء الليل وأطراف النهار (العلموي ،١٣٤٩هـ ،ص ٢٨) .

(٣) الاهتمام بالعلوم ذات الفائدة للفرد في الحياة الآخرة :

العلم النافع هو العلم الذي يعرف الانسان بخالقه سبحانه وتعالى ، والذي يبعده عن الشر ويدله على الخير ، وقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم " اللهم إنّي أعوذ بك من علم لاينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لاتشبع ، ومن دعوة لايستجاب لها (ابن ماجة ،١٣٩٥ هـ ،ص ١٢٦٣) . ولذا فان الامام العلموي (١٣٤٩ هـ) قد وجه المعلم والمتعلم الى أن " تكون عنايتهما بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعة متجنبين العلوم التي يقل نفعها ، ويكثر فيها الجدال والقيل والقال " ص ٣٤ ، وكما أن الرسول صلى الله عليه وسلم إستعاذ من علم لاينفع فان الله عز وجل ذم الذين يتعلمون العلم الذي لا ينفع فقال تعالى : ﴿ ... **ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق** ﴾ البقرة ،١٠٢ .

كما يرغب العلموي المعلم وطالب العلم الى الالمام بالثقافات الأخرى التي لا يتتنافى مع المبادئ الاسلامية لمعرفة أمور الحياة ومافيها من اتجاهات ، ربما تكون خاطئة . فعليهما أن يشاركا في تغييرها الى الأسلم ،

وأن يقفوا في وجه التيارات الفكرية التي تخالف عقائدهم ، حتى يخرجوا الى مجتمعهم وهم صالحون متسلحون بسلاح العلم والمعرفة الصحيحة والسليمة ٠

كما أن على طالب العلم والمعلم التوقي من محدثات الأمور ،والحرص على سير الصحابة وأعمالهم فعنهم آخذ الدين ، وقد قال عليّ رضي الله عنه : " خيرنا أتباعنا لهذا الدين " (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص ٣٣)٠

والعلموي عندما يوجه الى ذلك إنما يريد منهما أن ينهجا ماكان يسير عليه سلف هذه الأمة حتى لايقع البعض منهم فيما يخالف الشريعة التي أمر الله بها والتمسك بها ٠

(٤) البعد عن الأخلاق الذميمة :

ينبغي لكل من المعلم والمتعلم أن يكونا طاهري النفس عن رذائل الأخلاق ، ومذموم الصفات ، وذلك لأن طهارة النفس ، وحسن الأخلاق أساسا للنبوغ في العلم ، كما أنه قد يحصل رديء الأخلاق على العلم غير أنه لن ينفع ولن ينتفع به فيصير كفاقده ٠ كما ينبغي لهما البعد عما يفسد الأعمال ويشوش القلب ويهيج الوسواس ، ويثير الشر ، فان أصل الدين التوقي من الشر وقد قيل : " اعرف الشر لا للشر لكن لتوقيه ، ومن لايعرف الشر من الناس يقع فيه " (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٣٦)٠

ومن الأخلاق الرديئة التي يجب إجتنابها لكل مسلم ، أو كل انسان وكل معلم ومتعلم ما أورده ابن جماعة (١٣٥٤هـ) بقوله " فمن الأخلاق الرديئة الغل والحسد ، والبغي ، والغضب لغير الله تعالى والغش والكبر ،والرياء ، والعجب ، والسمعة ... والغيبة ، والنميمة ، والكذب والفحش في القول ، واحتقار الناس ولو كانوا دونه ، فالحذر الحذر من هذه الصفات الخبيثة ، والأخلاق الرذيلة ، باب كل شر بل هي الشر كله " ص ٢٤ ٠

والصحابة رضي الله عنهم كانوا حريصين على ماينفعهم ويبعدهم عن عذاب الله يبتعدون عن كل ما هو مذموم طهارة لأنفسهم ولحسن أخلاقهم قيل لحذيفة رضي الله عنه : " نراك تتلكم بكلام لايسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته : قال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان الناس يسألونه عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه ،وعلمت أن الخير لايسبقني " (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص ٣٦)٠

(٥) أكل القدر اليسير من الغذاء :

لدى الانسان عوامل فسيولوجية ، وهذه العوامل يؤثر فيها التعب والجوع والمرض وضعف الحواس ، وكثرة الأكل مما يؤدي الى تأثيرها في نوع التعليم وكميته ، والامام العلموي (١٣٤٩ هـ) أدرك أن " أعظم الأسباب المعينة على الاشتغال والفهم وعدم الملالة أكل القدر اليسير - المعتدل - من - الطعام- الحلال الذي لاشبهة فيه " ص ٣٦ ٠

ومن هنا يتضح أن لنوع الطعام وكميته آثار هامة على سلوك الفرد بوجه عام وعلى تعليمه بوجه خاص ، وبين العلاقة بين الطعام وكميته ، ونوعيته ، وبين القدرة على التعليم ٠ ومما روي عن سلف هذه الأمة قول الشافعي رضي الله عنه حين قال : " ماشبعت منذ ست عشرة سنة " (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٣٦) وقد علل الامام العلموي (١٣٤٩ هـ) على ذلك بقوله : " ان كثرة الأكل جالبة لكثرة الشرب وهي جالبة للنوم والبلادة وفتور الحواس والكسل ، هذا مع مافيه من الكراهية الشرعية ،والتعرض لخطر الأسقام البدنية" ولهذا قيل :

عدوك من صديقك مستفاد ∴ فلا تستكثرون من الصحاب

فان الداء أول ما تراه ∴ يكون من الطعام والشراب " ص ٣٦٠

أدرك الامام العلموي فوائد قلة الأكل وعواقب زيادته والتفريط فيه ، انطلاقا من منهج الاسلام للمسلم في تغذيته والذي أوضحه الله عز وجل بقوله : ﴿ **يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ الأعراف ، ٣١ . وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال : (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لابد فثلث لطعامه وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه) (الترمذي ، د.ت ، ج ٤ ، ص ١٨) .

ومن فوائد قلة الأكل وعواقب زيادته مايلي : -

(١) تسبب كثرة الأكل زيادة النوم وكثرته ، كما أن كثرة الأكل جالبة لكثرة الشرب مما يسبب كثرة النوم والبلادة ، وفتور الحواس والكسل (العلموي ، ١٣٤٩هـ ، ص ٣٦) . وهذا ملحوظ لنا فنحن نحس بحالة من الكسل والاسترخاء تصيبنا اذا امتلأت أمعاؤنا بالطعام ، ونشعر برغبة شديدة في النوم بعد تناول الوجبات الثقيلة .

(٢) في كثرة الأكل الغرور والطغيان والبطر والفرح والأذية ، وفي قلته انكسار وتذلل ، والبعد عن الأذية والتعالي والبطر الذي هو أساس الطغيان والغفلة عن الله (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٣٦) .

(٣) قسوة القلب وعماه وفي قلة الأكل صفاء للقلب صفاء يتهيأ به لادراك لذة المثابرة والتأثر بالذكر (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٣٥) . ومما أورده الامام الغزالي (د.ت) في قلة الأكل " صفاء القلب ، وايقاد القريحة ، وانفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ، ويعمي القلب ، ويكثر البخار في الدماغ فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار شبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر ، وعن سرعة الادراك ، بل الصبي اذا أكثر الأكل بطل حفظه ، وفسد ذهنه ، وصار بطيء الفهم والادراك " ص ٨٠ .

(٤) في كثرة الأكل زيادة في الشهوة التي ربما تطغى فترتكب المحرم وفي قلته كسر لشهوة المعاصي والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٣٧) .

(٥) في كثرة الأكل محبة للدنيا وطريق للبخل وعدم التفكر في الآخرة ، وفي قلته الاحساس بالفقراء والمحتاجين واليتامى والمساكين واصابتهم بالجوع والحاجة مما يؤدي الى الصدقة والانفاق عليهم مما فضل عنده ، لأن الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع فيبخل وينصرف لحب الدنيا (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٣٧) .

وكما أن لكثرة الأكل عواقب غير محمودة ، لذا فان لشدة الجوع آثار أيضا غير محمودة كالضعف ، والهزل ، وعدم القدرة على القيام بالواجبات المطلوبة لله ، وما ينفع الناس ، كما تؤدي قلة الأكل أيضا الى الكسل والخمول والتراخي . لذا فان الامام العلموي يحث على أكل القدر المعتدل من الطعام الذي لايؤدي الى الضعف والهزل ، ولا يلحق به الخمول والبلادة فيقول : ـ والأولى أن يكون ما يأخذه من الطعام والشراب ما ورد بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٣٨) ، وأما زيادته على ذلك فهو من الاسراف ، قال تعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا ولاتسرفوا** ﴾ الأعراف ، ٣١ ، وقال بعض العلماء : جمع الله بهذه الكلمات الطب كله .

فالامام العلموي يرى أن تحديد نوعية الأطعمة أمر ضروري لكون بعضها جالب للبلادة على حد قوله ومنها : " التفاح الحامض ، وشرب الخل ، والبقلاء ونوع آخر من الأطعمة على حد قوله مسبب لجودة الذهن مثل : " مضغ اللبان ، وأكل الزبيب ونحو ذلك " (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٣٨) . وهذا الأمر الذي يحدد أنواع الأطعمة الجالبة للبلادة والمسببة للفهم قد لايكون من المسلمات التي أشار اليها الامام العلموي ، بل قد يكون اجتهاد منه في ضوء متطلبات

العصر الذي عاش فيه أو ثقافة عصره ، ولنا أن نرفض اجتهاده في هذا الشأن في ضوء ما وفرته لنا ثقافة عصرنا الذي نعيش فيه ثم إن الامام العلموي أدرك كغيره من علماء المسلمين الأوائل كالغزالي وابن جماعة وغيرهم أن لنوعية الغذاء آثار هامة على سير النمو العقلي للمتعلم وعلى تعليمه بوجه عام ، وهذا ما هو صادق وثابت ولانستطيع إنكاره أو رفضه ٠

(٦) إعطاء الجسم قدرا من الراحة والنزاهة والرياضة :

أوصى الامام العلموي كغيره من علماء المسلمين بأن يأخذ المتعلم قسطا كافيا من النوم حتى لايلحق ضررا في بدنه وذهنه ٠ غير آنه يحذر مع ذلك من كثرة النوم بغير ضرورة ، لما في ذلك من ضياع للوقت ،وسبب الى الكسل والتراخي والتعطيل ٠ ومن هنا ذكر العلموي (١٣٤٩ هـ) أن " لايزيد في نومه في اليوم والليلة عن ثمان ساعات وهو ثلث الزمان " ص ٣٨ ٠ ومعلوم أن هذه المدة التي غالبا ما يرتاح فيها البدن من الأشغال والتعب وما يستحسنها الطب الآن ٠ وان كان هذا الأمر غير ثابت لدى كل الناس بل كل حسب صحته وعمره ٠ ولذا فان العلموي (١٣٤٩ هـ) يقول : " وإذا احتمل حالة أقل منها – أي آقل من الزمن المحدد للنوم وهو ثلث الزمن ومقداره ثمان ساعات – فعل " ص ٣٨ ، وهذا ما أشار اليه ابن جماعة في كتابه تذكرة السامع (١٣٥٤ هـ ،ص ٧٧) ٠ ومن هنا يتضح آن يتمتع كل من المعلم والمتعلم بقسط كاف من النوم حسب ما تقتضيه حالته وصحته ٠

أما العلم الحديث فقد أثبت أن من آثار حرمان الانسان من النوم ما أوضحه عيسوي (١٩٧٤ م) وهو " شعور الفرد بالتعب العام والارهاق ، وثقل جفون العين ، وجمودها ، وأما اذا استمر في حالة من اليقظة لمدة اثنتين وسبعون ساعة فان مناشطه واستجاباته تصبح ضعيفة ، فيزداد النسيان ويقل التركيز ، وتبدو الأشياء كما لو كانت مزدوجة " ص ٤٢١ ٠

كما آدرك الامام العلموي أيضا آن التعليم والتحصيل ينقص في حالة التعب وأن ارهاق الجسم والعقل والاقلال من الراحة عوائق تحول دون استفادة المتعلم من تعليمه مما قد ينتج عن إصابة العقل والحواس بالكل والتعب . ولذا فان العلموي يحذر من الاستمرار في التعليم وقت الاحساس بالتعب ، ويوصي بأن يتوقف عن التعليم ، وأن يريح نفسه وقلبه وذهنه وبصره اذا أكل باستراحة وتنزه وتفرج في المنتزهات بحيث يعود بعدها الى تعليمه ،وقد زال عنه التعب وفارق السأم ، وذلك أدعى لزيادة تحصيله والى تحقيق تعليم جيد يستفيد منه (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص ٣٨).

هذا ومن فوائد الراحة أنها تمنع مايطلق عليه علماء النفس ظاهرة (التعطيل الرجعي) والتي عرفها راجح (١٩٧٠م) بأنها " تداخل التعليم اللاحق في التعليم السابق بما يؤدي الى نسيان بعض ماتم تعلمه ،ولذا يتعين على الطالب أن لايبادر بتحصيل موضوع بعد آخر الا بعد أن يأخذ فترة من الاستجمام الكافي " ص ٢٥١ .

كما آن ممارسة أنواع الرياضة كالمشي وغيرها من الألعاب الخفيفة المباحة له أثر على النشاط العقلي للتعليم حيث يزيد من نشاطه العقلي والمعرفي ، وتزول عنه السآمة والكآبة . ومن هنا فقد آدرك العلموي أن من الأسباب المعينة على الاشتغال والفهم ممارسة رياضة المشي حيث قال:"ولا بأس بمعاناة المشي ورياضة البدن به فقد قيل : أنه ينعش الحرارة ويذيب فضول الاختلاط وينشط البدن " ص ٣٨ .

(٧) الاهتمام بالقراءة والتحصيل المستمر :

إن الاطلاع المستمر وعدم الاقتصار على المعلومات التي اكتسبت عن طريق الدراسة أو السماع زيادة في ثقافة الانسان واتساع أفقه العلمي ،قال تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ المجادلة ،١١ . وقال تعالى : ﴿ وقل رب زدني علما ﴾ طه ،١١٤. ثم إن ضرورة البحث العلمي وحب المعلم وطالب العلم للاطلاع يرفع مستواهما العلمي والمهني لكي ينفعا أمتهما ومجتمعهما الاسلامي فالتقدم التربوي والعلمي والمهني دائم الاستمرار ، ولذا فانه اذا لم يكن المعلم على رأس هذا التقدم فسوف تصبح الفجوة بينه وبين هذا التقدم كبير يصعب التغلب عليها مؤخرا ، والامام العلموي (١٣٤٩ هـ) أدرك ذلك وأوصى كل منهما فقال : " أن لايزال كل منهما مجتهدا في الاشتغال قراءة ومطالعة وتعليقا ومباحثة ومذاكرة وفكرا وحفظا واقراء وتصنيفا أن تأهل لهما " ص ٤١ .

فالتقدم العلمي مستمر ، والمعلم وطالب العلم اذا إنقطعا عن الاطلاع فان معارفهما وخبراتهما سوف تظل ثابتة ، وتتصف بالجمود والركود وبالتالي يشعر بالعجز والتخلف . وكان من إهتمام العلموي (١٣٤٩ هـ) بالحفاظ على طلب العلم أن أوصى " أن لايخل - طالب العلم - بوظيفة من حضور درس ومذاكرة وقراءة ونحوها ، ولو لعروض مرض خفيف أو ألم لطيف وليستشف بالعلم وليشتغل بقدر الامكان وقد قيل :

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ∴ ونترك الذكر أحيانا فننتكس "ص ٤١.

ولذا من الواجب على القائمين على التربية والتعليم لتحقيق نمو المعرفة والثقافة لدى المعلم والطالب هو تنظيم مراكز أبحاث تربوية ، لتزويد المعلمين بأهم النشرات والمجلات التربوية ، وكل مايتعلق بالدراسات النفسية والتربوية . كما أن عليهم إنشاء مكتبات عامة حيث يجد فيها المعلم

والمتعلم كل مايحتاجونه ، والاطلاع على مافيها من كتب في أوقات فراغهم.
وعلى كل حال فان عملية النمو العلمي والمهني عملية فردية شخصية تدخل
فيها عملية الرغبة والدوافع الشخصية للأفراد.

(٨) ترك المماراة والجدل بغير حق :

ان الاعتراض على كلام الغير بانتقاض أو تعجيز لصاحبه أو اظهار خلل فيه لغير غرض ديني أمر الله به أمر غير تربوي للمعلم والمتعلم نهى عنه العلموي (١٣٤٩ هـ) بقوله : " أن لايسأل أحد تعنتا وتعجيزا فانه لايستحق جوابا " ص ٤٢ . بل على من طلب السؤال أن يكون سؤاله سؤال متعلم لله ينبغي منه المعرفة لوجه الله تعالى قاصدا به الخير في الارشاد والاسترشاد. دون الترفع على أحد أو انتقاص وطعن في كلام أحد . والطعن في كلام الغير اما أن يكون في لفظه كاظهار خلل فيه من جهة النحو واللغة أو جهة النظم والترتيب بسبب قصور المعرفة وطغيان اللسان ، أو في معناه بأن يقول ليس كما تقول ، وقد أخطأت فيه لكذا وكذا ، أو في قصده مثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق ، وما يجري مجراه ، وعلاقة فساد مقصد المتكلم يتحقق بكراهية ظهور الحق على غير يده ليتبين فضله ومعرفته للمسألة . (العاملي ، ١٩٨١ م ، ص ١٥١).

فالمساواة والجدل صفتان مذمومتان اذا استخدمت لغير غرض ديني وذلك لأن الداعي لها أو الباعث لها مايلي :

(١) الترفع باظهار الفضل وتزكية النفس ، وقد نهى الله عنها بقوله : ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ النجم ،٣٢ .

(٢) تنقيص الغير : أي أذيته والقدح في قائله بكل مايتصور. والمراء ومايصحبه من كبر مذموم في حق صاحبه ،وعلاجه البعد عن الكبر وعدم التباهي وعدم تنقيص الآخرين حقهم ،وقد روى عن معاذ

ابن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا زعيم بيت في ريض الجنة ، وبيت في وسط الجنة وبيت في أعلا الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا ،وترك الكذب وان مازحا وحسن خلقه " (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص ٤٣)٠

(٩) التأمل والتفكر :

من الآداب التي أوصى بها العلموي (١٣٤٩ هـ) المعلم والمتعلم " أن يتصور ويتأمل ويهذب مايريد أو يورده أو يقرره ، أو يسأل قبل ابرازه والتفوه به ، ليأمن من صدور هفوة أو زلة أو وهم ، أو انعكاس فهم ، لاسيما اذا كان هناك من يخشى منه أن يصير ذلك عليه وصمة ، ويجعله عند نظرائه ومن يحسده وسمة " ص ٤٢ ٠

وهذا معناه أن المعلم اذا كان متسرعا في القاء الأسئلة قبل أن يتدبر معناها جيدا والهدف منها ، فان ذلك قد يؤدي الى الخطأ مما قد ينعكس على عمله وشخصيته وبالتالي يقلل من دوره وقيمته ٠ ومن هنا يفضل للمعلم أن يطلع على المقرر الدراسي الذي يقوم بتدريسه قبل حضوره الى مكان الدراسة وأن يهتم بالكتب التي لها علاقة مباشرة بمادته ، بحيث يستطيع الاجابة عن كل سؤال يوجه اليه ٠

وعليه فالالمام بجوانب الثقافة المختلفة للمجتمع الذي يعيش ويعمل به المعلم أمر حيوي وهام ٠ كما أنه ليس هناك مايمنع من الالمامه بثقافات المجتمعات الأخرى قدر الامكان ، ولعل مادعا معظم دول العالم ان لم يكن كلها الى اعتبار الجانب الثقافي أحد الجوانب الأساسية في برنامج اعداد المعلم ٠

(١٠) لا حياء في طلب العلم :

انّ التعليم عند الامام العلموي هو عملية تفاعل بين المعلم والمتعلم وليست الفائدة مصدرها الوحيد هو المعلم بل تحقيق الفائدة عمل مشترك بين المعلم وتلاميذه ، وقد أكد ذلك العلموي (١٣٤٩ هـ) بقوله " كان كثير من السلف يستفيدون من تلاميذهم ماليس عندهم وأن لايستنكف من التعليم والاستفادة ممن هو دونه في منصب أو سن أو نسب أو شهرة أو دين أو في علم آخر ، بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده " ص ٤٢ ٠

ومما يدل على ذلك أن بعض السلف كانوا يستفيدون من طلبتهم ماليس عندهم ، فقد قال الحميدي وهو تلميذ للشافعي : صحبت الشافعي من مكة الى مصر ، فكنت أستفيد منه المسائل ويستفيد مني الحديث (العلموي ،١٣٤٩ هـ ، ص ٤٣)٠ وقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : " فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، وربما حامل فقه ليس بفقيه ٠ (الترمذي ،ج ٤،د٠ت ، ص ١٤١)٠ وثبت في الصحيحين وغيرهما رواية جماعة من الصحابة عن التابعين وروى جماعة من التابعين عن تابع التابعين وأبلغ من ذلك ماثبت من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ ﴿ **لم يكن الذين كفروا** ﴾ البينة ،١ ، على أبي بن كعب رضي الله عنه ، وقال : أمرني الله أن أقرأ عليك ٠ ولهذا الحديث وغيره فوائد منها :

(١) التواضع في طلب العلم ، حيث أن الامتناع عن تناول الحقيقة من أي أحد هي عين الحماقة والعمي وقد أكد العلموي (١٣٤٩ هـ) أن " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها التقطها أو هو أحق بها " ص ٤٣ ٠ وهذه الصفة حرى بطالب العلم أن يتصف بها فيكون طالبا للحقيقة ساعيا لها يتقبلها من أي مصدر كانت ٠ قال سعيد بن جبير : " لا يزال الرجل عالما ماتعلم فاذا ترك التعلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجل مايكون ،وكما

يروي العلموي (١٣٤٩ هـ ،ص ٤٣):

ليس العمى طول السؤال وانما .. تمام العمى طول السكوت على الجهل

(٢) أن لايستحي الفرد من السؤال عما لايعلمه ،قال تعالى ﴿**فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون**﴾ النحل ،٤٣ ،وعن مجاهد قال : لايتعلم العلم مستح ولا مستكبر (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص ٤٣).

فالانسان اذا لم يسأل عما يجهل فهو لن يتعلم وهذا هو مبدأ التربية الاسلامية في تحقيق أهدافها انطلاقا من قوله تعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون**﴾ النحل ،٤٣ . وهذا يتطلب منا تشجيع غريزة حب الاستطلاع في أبنائنا وعلى المعلم تشجيع هذه الغريزة لدى الطلاب ففي تشجيعها وتنميتها محاربة للجهل .

(٣) الانصياع للحق وذلك يكون بالرجوع عن الهفوة ولو على يد من هو أصغر منه ، فالرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل. (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٤٣). وهذا معناه أنه ليس هناك انسان يعيش بين ظهرانينا الا ليس معصوم من الخطأ ،وأن الانسان اذا أخطأ ونبهه غيره حتى ولو كان أقل منه سواء في المنزلة أو السن ألا يتعالى ويتكبر ويرفض المثول للحق ، اذ أن ذلك قد يؤدي في كثير من الأحيان بالانسان الى الوقوع في الأخطاء مما قد ينعكس على الفرد وعلى المجتمع .

واذا كان الامام العلموي ينبه المعلم الى ذلك باعتباره قدوة لتلاميذه وقائدا اجتماعيا فهذا أدعى الى أن ينطبق على كل من يحتل مكانة اجتماعية أو مركزا اجتماعيا بأن يكون على علاقة طيبة مع مرؤوسيه ، وأن يعظمهم ويأخذ منهم حتى تكون الافادة كاملة ويتحقق التقدم والرفاهية لجميع عموم السملمين .

ونخلص من مناقشة هذا الفصل الى أن المعلم والمتعلم باعتبارهما العنصرين الرئيسيين في العملية التعليمية يجب عليهما أن يتصفا بصفات وخصائص في نفسهما ودرسهما تتلخص في : –

(١) أن يقصدا بعملهما وجه الله لأن خلاف ذلك يؤدي الى الخسارة وحرمان ثواب الدنيا والآخرة ٠

(٢) المحافظة والالتزام بشعائر الاسلام كالواجبات والفرائض والسنن ٠

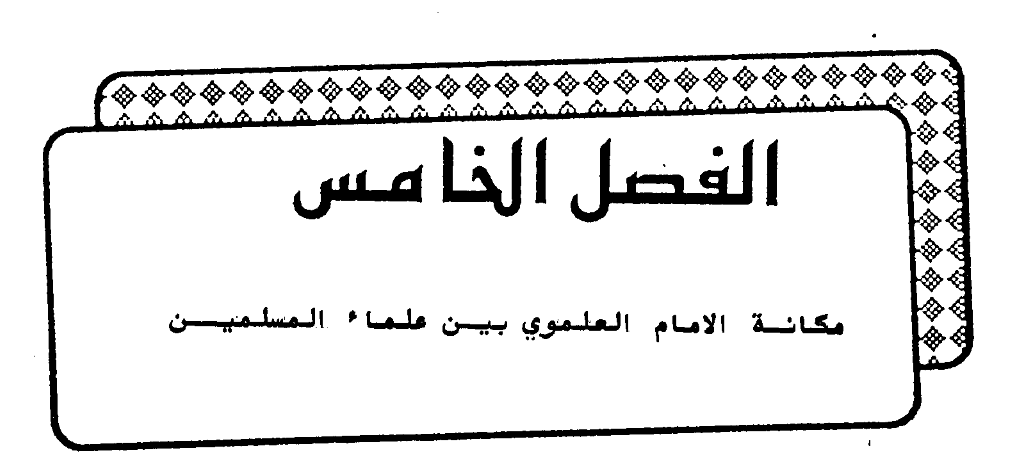
(٣) أن يكونا طاهرا النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الصفات ٠

(٤) أكل القدر اليسير من الطعام الحلال الذي لاشبهه فيه لما لذلك من آثار على سلوك الفرد بوجه عام وعلى تعليمه بوجه خاص ٠

(٥) اعطاء الجسم قدرا من الراحة والنزاهة والرياضة ، والتوازن في مختلف الحياة دون افراط أو تفريط ٠

(٦) لاتتم عملية التعلم الا بتفاعل مشترك بين المعلم وتلاميذه وهذا يحتم الاستفادة والبحث عن الحقيقة من أي مصدر كانت ٠

تلك هي بعض الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المعلم والمتعلم والتي استخلصناها من كتاب الامام العلموي " **المعيد في أدب المفيد والمستفيد** " والتي يجب على المعلم والمتعلم الاتصاف بها وتطبيقها في حياتهم اليومية قولا وفعلا ليتم التعليم المرجو والتي تسعى اليه التربية الاسلامية ٠



الفصل الخامس

مكانة الامام العلوي بين علماء المسلمين

الامام العلموي كما سبق وأن أوضحنا خلال الفصول السابقة دعا الى عدد من الآداب التي يتطلب من المعلم والمتعلم الالتزام والتحلي بها ،وهي في جملتها آداب تربوية سبق أن دعا إلى بعض منها بعض علماء المسلمين كالامام الغزالي ، وابن جماعة ، وابن سحنون وابن عبدالبر وغيرهم . ولمعرفة مكانة العلموي بين هؤلاء العلماء وغيرهم يعرض الباحث نماذج من آراء العلموي ومدى اختلافها مع غيره من علماء المسلمين . فنجده مثلا لايجيز حمل العلم وطلبه طمعا في تحصيل مال أو شهرة (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص ٢٦) . والى هذا ذهب عدد من علماء المسلمين ، فمنهم من يرى أن من صفات المعلم الجيد عدم اتخاذ العلم وسيلة للحصول على مطامع دنيوية (ابن جماعة ، ١٣٥٤ هـ ، ص ٣٠٢) . ويعلل البعض عدم إستحباب أخذ الآجرة على التعليم بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم معلم البشرية الأول حيث لم يكن عليه الصلاة والسلام يأخذ شيئا مقابل تعليم الناس ، وكذا بفعل الصحابة رضوان الله عليهم الذين تولوا مهمة تعليم الناس من بعده (الغزالي ،د.ت ،ص ٤٧) . كما يعلل البعض أيضا الى أن أخذ الآجرة على التعليم ليس من أخلاق العلماء العاملين (الآجري ، ١٩٨٦م ، ص ٧٠) .

بينما عدد من العلماء يرون أن أخذ الآجرة على التعليم لابأس فيه مستدلين على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم " إن أحق ما آخذتم عليه أجرا كتاب الله " (البخاري ،١٤٠٧ هـ ،ص ٢١٦٦) ويبرر القابسي رأيه في جواز أخذ الأجرة أنه لما انتشر الاسلام أصبح من الصعب وجود من يعلم المسلمين ، وأصبح من الضرورة أن يستأجر ومن يقوم بتعليم أولادهم وارشادهم كما أنه لو اعتمد الناس على التطوع الموجود في الاسلام لضاع كثير من الصبيان ولما تعلم القرآن كثير من الناس فتكون هي الضرورة الفائدة الى السقوط في فقد القرآن من الصدور ، والداعية التي تثبت أطفال المسلمين على الجهالة (الأهواني ، ١٩٦٧م ، ص ٢٩٢) .

بينما يرى البعض أنه اذا فرغ المعلم بصفة دائمة لتعليم العلم فلايوجد مايمنع من أخذ الأجرة ٠ فالمعلم إذا أستؤجر سنة معلومة فقد لزمت آباءهم الأجرة سواء خرجوا من عنده أو أقاموا ٠ (ابن سحنون، ١٣٩٢هـ، ص ١١٩)

ومن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المعلم النصح والتوجيه السليم لطلابه (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٤٥) وهذا الرأي يتوافق الى حد كبير مع ماذكره الامام الغزالي حين رأى أن المعلم عليه أن يبدأ في تعليم المتعلم بأقرب مايحتاج الى الطالب ، وأهم ماينفعه في الدنيا والآخرة ٠ وذلك لأن عملية التعليم وتربية الانسان تشبه في نظر الغزالي بعمارة البيت وبناء المنزل ، فلو قام الباني بعمارة البيت من كل جانب لم يكن عمله مثمرا ، بل عليه مراعاة أصل التدرج والترتيب ٠ كذلك المعلم لو علم تلاميذه من أي فن دون مراعاة الميول والاستعدادات لايكون عمله مثمرا مفيدا (الغزالي ، منهاج المتعلم ، د ٠ ت ، ص ٢٣٢) ٠

ومما دعا اليه العلموي من آداب هو أن يحكم العدل سلوك المعلم في تعامله مع طلابه (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٥١) ويؤكد ذلك قول الامام الغزالي (د٠ت) " من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار ، ولا يرى لأهل الحاجة أهلا له فذلك في الدرك الثالث من النار " ص ٦٠ ٠ كما يرى أيضا في كتابه منهاج المتعلم (د٠ت) " أنه يجب رعاية الفقير أكثر مما سواه ، نظرا لظروفه التي يعيش فيها حتى لايشعر بالنقص والحرمان " ص ٣١٣ ٠ وهناك البعض يوجب العدل في كل حالات العلم حتى في التفاته الى الطلاب ، ونظره اليهم أثناء شرح درسه ، وأن لايخص بعضهم بكثرة الالتفات دون بعض (ابن جماعة ، ١٣٥٤ هـ ، ص ١٦١) ٠ وقد جاء في الحديث الذي رواه أنس رضي الله عنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم " أيما مؤدب ولّي ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين " (ابن سحنون ، ١٣٩٢ هـ ، ص ٨٣) ٠

ومن الآداب أيضا التواضع بالنسبة للمعلم وطالب العلم وقد ذكرالعلموي آنه أساس نجاح العملية التعليمية (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص ٤٧) وقد أوضح الامام الغزالي صفة التواضع المطلوبة من المعلم حيث يقول : أن يكون المعلم " منكسرا ، متطرفا ، صامتا ، يظهر أثرالخشية على هيئته وكسوته ، وسيرته ، وحركته ، وسكونه ، ونطقه ، وسكوته ، لا ينظر اليه ناظر إلا كان نظره مذكرا لله تعالى ، وكانت صورته دليلا على عمله . فالجواد عينه مرآته وعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذلة والتواضع " ص ٧١ .

ثم إن البعض من علماء المسلمين ينصح طالب العلم (معلما أومتعلما) أن لايمنعه منصبه وشهرته من الاستفادة ممن لايعرفه فتخسر صفقته ،ويقل علمه ، ويستحق المقت من الله (ابن جماعة ،١٣٥٤ هـ ،ص ٢٨) وقد قال عمر رضي الله عنه " تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه ، وليتواضع لكم من يتعلم منكم ،ولاتكونوا جبابرة العلماء ، فلايقوم علمكم بجهلكم (الغزالي ،د.ت ،ص ٧١).

ثم إن من الآداب التي يجب أن يتحلى بها المعلم حسن معاملة المتعلم والابتعاد عن سوء المعاملة في طريقة تربيته وتأنيبه (العلموي ،١٣٤٩ هـ ، ص ٤٦) وقد ذهب عدد من العلماء الى أن تنبيه المتعلم بطريقة التصريح في حالة وقوع الخطأ منه قد يؤدي الى رفع حجاب الهيبة ، ويورث الجراءةعلى الهجوم بالخلاف (الغزالي ،د.ت ،ص ٥٥).

بينما يرى البعض ومنهم ابن خلدون (١٩٨١م) وقد عقد فصلا في مقدمته عن الشدة على المتعلمين ،وأنها مضرة بهم حيث قال : " إن إرهاق الجسد في التعليم يضر بالمتعلم لاسيما في أصاغر الولد ،لأن من كان مرباه بالعنف والقهر من المتعلمين سطا به القهر وضيق على النفس في إنبساطها ، ودعاه بذلك الى الكسل ، وحمله على الكذب والتظاهر بغير ما في ضميره ، خوفا من إنبساط الأيدي بالقهر عليه ، وربما صارت له هذه عادة أو خلقا ،

فتفسد معاني الانسانية عنده ، وتكسل نفسه عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل " ص ٥٤ ٠

كما ينبغي للمعلم العناية بالمظهر العام عند قيامه بعملية التدريس (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص ٢٩) ويؤكد ذلك ماذهب اليه عدد من العلماء،فمنهم من يرى أنه يجب على المعلم وطالب العلم لبس أحسن الثياب وأعظم العمائم وأوسع الأكمام ، مستدلين على ذلك بقول أبو حنيفة رحمه الله لأصحابه " عظموا عمائمكم ووسعوا أكمامكم " قال ذلك لئلا يستخف بالعلم وأهله (الغزالي ، منهاج المتعلم ،د٠ت ،ص ٢٤٢)٠ ويعلق ابن جماعة (١٣٥٤هـ) حول هذه المسألة فيرى أن لعناية المعلم بمظهره العام أهمية كبيرة ، وذلك لأن التلميذ " يسلك في السمت والهدى مسلكه ٠٠٠ ويتأدب بآدابه ولايدع الاقتداء به " ص ٩٠ ٠ ثم إن من الآداب التي دعا اليها العلموي أن يحسن المعلم حسن استقبال المتعلم فيكرمه بحسن السلام ، وطلاقة الوجه ،والبشاشة والابتسام (العلموي ،١٣٤٩هـ ،ص ٥٥)٠ وهذا ماذهب اليه عدد من العلماء حين رأوا أن المتعلم في باديء أمره تصيبه الوحشة والخوف والرهبة من المعلم ولكن من واجب المعلم أن يهش له ، ويبش في وجهه ، ويظهر له البشر والابتهاج ويعلن عن الترحيب به حتى تزول عنه تلك الأمور ٠ يقول ابن مسعود رضي الله عنه ٠ اذا رأى الشباب يطلبون العلم " مرحبا بينابيع الحكمة ،ومصابيح الظلم وخلقان الثياب ، جدد القلب ، حبس البيوت ، ريحان كل قبيلة " (ابن عبدالبر ، د٠ت ،جـ ١ ،ص ١٢)٠

ثم ان من الآداب التي دعا اليها العلموي أن يقبل المتعلم على التعليم بهمة وعزيمة قوية (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص ٦٢) وهذا مايؤكد ما دعا اليه عدد من علماء المسلمين فقد رأوا أنه إذا لم يكن للمتعلم جدّ ولم تكن له همة عالية ، أو لديه همة ولم يكن له جد فلا يحصل له الا القليل من العلم (إخوان الصفا وآخرون ، ١٣٨٦ هـ ،ص ٤٧) ٠ بينما نجد البعض

كابن جماعة (١٣٥٤ هـ) يدعو المتعلم الى " أن يبادر شبابه وأوقات عمره الى التحصيل ، ولا يغتر بخداع التسويف والتأجيل فان كل ساعة تمضي من عمره لا بدل لها ولا عوض عنها ، وأن يقطع مايقدر عليه من العلائق الشاغلة والعوائق المانعة عن تمام الطلب ، وبذل الاجتهاد ، وقوة الجد في التحصيل فانها قواطع الطريق " ص ٧٠ ٠

ومن هنا يتطلب من طالب العلم سواء كان (معلما أو متعلما) أن يأخذ نفسه للاجتهاد في التحصيل في وقت الفراغ والنشاط وقوة البدن ، ونباهة الخاطر وقلة الشاغلات ٠ كما يتطلب منه أيضا أن تكون ملازمته الاشتغال بالعلم هي مطلبه ورأس ماله ، ولا يشتغل بغيره من الأمور الدنيوية مع الامكان قبل عوارض البطالة وارتفاع المنزلة ، فقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " تفقهوا قبل أن تسودوا " أي اجتهدوا في طلب العلم قبل أن تصيروا سادة ، فيكثر شغلكم وارتباطاتكم ،وقد قيل : " العلم لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك " (ابن جماعة ،١٣٥٤ هـ ،ص ٧١)٠

وهذا أيضا معنى قول الشافعي رضي الله عنه : تفقه قبل أن ترأس فاذا رأست فلا سبيل الى التفقه (النووي ،١٤٠٤هـ ،ص ٤٠) ولذلك فان هناك مراحل تصلح للتحصيل والدراسة ينبغي للانسان أن يستفيد منها قدر الامكان،وأن لايضيع تعبه وجهده فيما لاينفع ولايتوقف عند حد معين من العلم ،بل عليهم بالاطلاع والمتابعة ٠ فقد روي عن سفيان بن عيينة عندما سئل من أحوج الناس الى طلب العلم ؟ فقال : " أعلمهم لأن الخطأ منه أقبح " (ابن عبدالبر ، جـ ١ ،د٠ت ،ص ٩٦) ٠ ويقول ابن قتيبة (١٣٤٣ هـ) " لايزال الرجل عالما ماطلب العلم ، فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل " ص ١١٨ ٠

ثم إن المتعلم مطالب بملازمة معلمه والأخذ بتوجيهاته وارشاداته والاستفادة منه (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص ٦٣) وقد دعا الى ذلك عدد من العلماء حيث يرون أنه يتطلب من طالب العلم أن يأخذ علمه من الجميع ،ولايستنكف

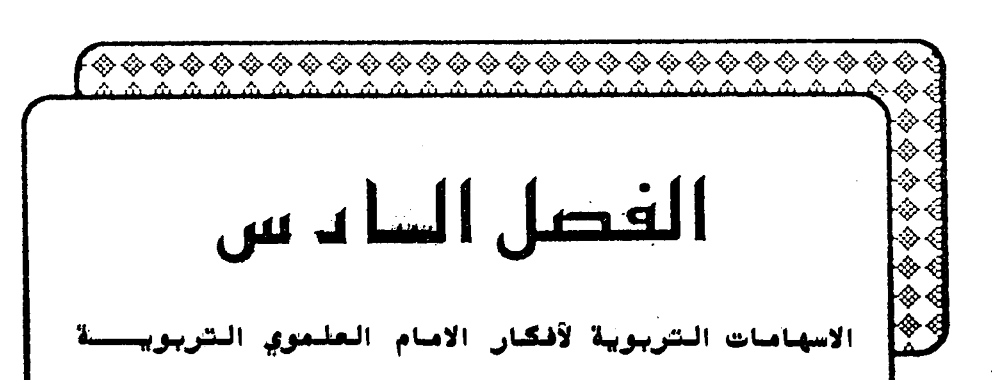
الاستفادة من أية عالم سواء كان صغيرا أو كبيرا ، فقيرا أو غنيا . لأن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ويغتنمها حيث ظفر بها ،ولأن العلم من أسباب نجاة الانسان من الجهل ، فلا فرق في ذلك بين أن يكون مرشده ومعلمه فقيرا أو غنيا ، كبيرا أو صغيرا (الغزالي ،د.ت ،ص ٢٠٤) كما أن المتعلم مطالب أيضا باحترام المعلم وتوقيره (العلموي ،١٣٤٩هـ ،ص ٦٣) . ويؤكد ذلك أقوال عدد من علماء المسلمين حيث عللوا ذلك أن حق المعلم أعظم من حق الوالدين فالوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ،والمعلم سبب الحياة الباقية (الغزالي ،د.ت ،ص ٤٩) ولهذا فان احترام العلم وأهله أمر مطلوب وقد سار على ذلك علماء السلف كالشافعي وغيره (ابن جماعة ، ١٣٥٤ هـ ، ص ٨٨) كما دعا ابن عبد البر الى ذلك حين وجه المتعلم الى أن يظهر هيبته وتوقيره للمعلم ، وأن يعترف له بالفضل ، وذلك لأن من حق المعلم على المتعلم أن يكون له هيبة ووقار (ابن عبد البر ،د.ت ،ص١١١)

ثم إن للسؤال من طالب العلم الى معلمه قيمة عملية كما يرى الامام العلموي وهذا الأمر جعل بعض علماء المسلمين يوجهون المتعلم الى حسن السؤال ، والتأدب بالآداب السنية المتعلقة باحترام المتعلم لمعلمه (الغزالي ، د.ت ،ص ٤٠) . ومن هنا يتطلب من طالب العلم (معلما أو متعلما) في سبيل البحث عن الحقيقة أو الحصول على قدر كبير من العلم أن لايستحي عن سؤال ما أشكل عليه ، قال عمر رضي الله عنه " من رق وجهه رق علمه . وقيل أيضا : من رق وجهه عند السؤال ظهر نقصه عند اجتماع الرجال " (ابن جماعة ، ١٣٥٤ هـ ، ص ١٥٦).

ويرى ابن القيم (١٣٩٢ هـ) أن للسؤال قيمة علمية كبيرة لاسيما اذا أضيف اليه حسن الاصغاء فيقول رحمه الله : " ... ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الاصغاء " ص ٥٤ . هذا وقد ذكر ابن جماعة (١٣٥٤ هـ) بعضا من التوجيهات التي يجب أن يتحلى بها المتعلم مع معلمه ودرسه فقال :

" أن يجلس بين يدي الشيخ - المعلم - جلسة الآدب ، ويصغي الى الشيخ ناظرا اليه ، ويقبل عليه ، متعقلا لقوله ، بحيث لايحوجه الى إعادة الكلام مرة ثانية ، ولايلتفت من غير ضرورة ، ولايكثر كلامه من غير حاجة ،ولايحكي مافيه بذاءة ، أو يتضمن سوء مخاطبة أسوء آدب " ص ٩٧ .

تلك هي بعض آراء الامام العلموي ومقارنتها بآراء غيره من علماء المسلمين . وعلى الرغم من أن الامام العلموي قد تأثر كثيرا بالمبادىء التربوية التي نادى بها غيره من علماء المسلمين أمثال ابن جماعة ، والغزالي ، والنووي ، وابن سحنون وغيرهم حتى إنه ينقل عباراتهم في كثيرا من الأحيان بنصوصها . وهذه الآراء وان كانت ليست بدعة الا أن لها تمام الفضل في حفظ التراث الفكري بالنظر لاعتمادها على مصنفات السابقين التي فقد منها الكثير. ثم ان كثيرا من آرائه في التعليم وما يتطلب من المعلم والمتعلم من آداب والتي أوردها في كتابه بمنهجية تختلف عن السلف حيث أنه يفضل التنسيق على السرد ليجعلنا نلمس أن هذا ناتج عن عقل مبدع وبصيرة نافذة .



الفصل السادس

الاسهامات التربوية لأفكار الامام العلموي التربوية

- مقدمة .
- معايير مهنة التعليم .
- قواعد مهنة التعليم .

مقدمة :

انّ مهمة التعليم في أي مجتمع تتحمل مسئولية التجديد والتغيير في هذا المجتمع ، اذ يمثل في كثير من المجتمعات الحديثة تدعيم البناء الاقتصادي والاجتماعي بالاضافة الى توجيه ثقافته وبناء عصره على مواجهة التحديات المحيطة به . فالتقدم العلمي في أي مجتمع من المجتمعات يتطلب الاهتمام بتوجيه المعلم والمتعلم الى أفضل الطرق والآداب المبتغاه للتعلم والتعليم ، حيث أن تربية الأجيال الناشئة يتوقف الى حد كبير على كيفية تربية المعلم واتصافه بالآداب التربوية التي دعا اليها علماء المسلمين والمربين الأوائل ومنهم عبد الباسط العلموي الذي ساهم في ذلك فألف كتابه " المعيد في أدب المفيد والمستفيد " والذي استخلص منه الباحث هذه الاسهامات في الآداب المبتغاة لمهنة التعليم والتي يتعين على المعلم معرفتها والوقوف على حقيقتها مما قد يوضح له مسار عمله ويدعم جهوده لأداء رسالته على الوجه الأكمل .

معايير مهنة التعليم :

ان التعليم يمر حاليا بفترة يحاول فيها استكمال وضعه كمهنة وأنه في سبيل استكماله لهذا الوضع يعاني من بعض العقبات التي تقف في سبيله ، ولاختيار وضع التعليم كمهنة يمكن أن نعرض فيما يلي مايراه التربويون من مقومات ومعايير للمهنة تتمثل في الآتي :

(١) تعتمد المهنة في ممارستها على النشاط العقلي أكثر مما يعتمد على النشاط الجسمي (عبيد ،١٩٧٦م ،ص ٢٨٧)٠ ومما دعى اليه علماء المسلمين ومنهم العلموي (١٣٤٩هـ) رعاية ونمو النشاط العقلي والمحافظة عليه حيث قال : " ولايشير – المعلم – على الطالب بتعلم ما لا يحتمله فهمه وسنه ، ولا بكتاب ينصرف عنه ذهنه ، فان استشارة من لا يعرف حاله في قراءة فن مشكل أو كتاب مشكل لم ينشر عليه بشيء حتى يجرب ذهنه ويعلم حاله "ص٥٢٠ ومن توجيهاته أيضا لطالب العلم والمحافظة على نشاطه العقلي قوله " أن يحذر في ابتداء أمره من الاشتغال في الاختلافات بين العلماء مطلقا في العقليات والسمعيات ، فانه يحير الذهن ويدهش العقل " (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ،ص ٦٢)٠ ثم إن المعلم في ممارسته لمهنة التعليم لابد أن يتصف بالذكاء حتى يستطيع التغلب على بعض ما يوجه اليه من الأسئلة غير المتوقعة من طلابه وبسرعة بديهة قال ابن عبدالبر (١٤٠٢هـ) " أبلغ الناس أحسنهم بديهة وأمثلهم لفظا " ص ٧٢٠ لذا فالتعليم مهنة يغلب عليها طابع النشاط العقلي ومما وجه اليه علماء التربية رعاية هذا النشاط وأن يفهم كل واحد من المتعلمين بحسب فهمه يقول الامام الغزالي في احياء علوم الدين ،ج ١ (د٠ت) موجها المعلم الى رعاية ونمو عقل المتعلم " أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ،فلايلقى

اليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عقله " ص ٥٥ ٠

(٢) تتطلب المهنة الالمام بنوع المعرفة المتخصصة — أي أنها تقوم على أساس من الثقافة المهنية — والتي هي مجموعة من المعلومات والمهارات الفنية وأنماط السلوك التي تمكن المعلم من ممارسة عمله على أسس سليمة ومما يدل على ذلك عند المفكرين المسلمين وعلماء التربية قول العلموي (١٣٤٩ هـ) لطالب العلم — معلما أو متعلما — أنه يجب عليه " الاشتغال قراءة ومطالعة وتعليقا ومباحثه ومذاكرة وحفظا واقراءا وتصنيفا أن تأهل له ذلك ،٠٠٠ وأن لايستنكف من التعلم والاستفادة ممن هو دونه في منصبأو سن أو نسب أو شهرة أو دين أو في علم آخر بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده " ص ص ٤١ ،٤٢ ٠ فالمعلم الجيد هو من يلم بعلمه ويعرف بقدرته العلمية ، وقد قال ابن عبد البر (د٠ت): " إنما يعرف المعلم بعلمه " ص ٥٢ ، وهذا الأمر يتطلب من المعلم القراءة الواسعة وبالأخص في نوع المعرفة المتخصص بها ٠ وأن يكون غزير المادة العلمية ، يعرف مايعلمه أتم المعرفة وأن يطالب نفسه في كل يوم باستفادة علم جديد ، ويحاسبها على ماحصله (ابن جماعة ،٣٥٤ هـ ،ص ٢٢٠) ، فالمعلم مطالب بدوام الدراسة والبحث في فروع المعرفة التي يقوم بتدريسها ومما يؤكد ذلك ماذكره عبد العزيز (١٩٧٧م) أن المعلم لا يوصف بالكفاءة ولا يوصف تعليمه بالجودة إلا أن " يلم بطبيعة مادته من حيث محتواها وما تشمل عليه من تفاصيل وفروع ، وحتى يكون مستوعبا لها متفهما لأصولها " ص ١١٩ ، وبهذا فإن ميل تلاميذه إليه يكون أكثر فيحبونه ويعجبون به لما يجدون فيه من غزارة المادة ولأنه حقق قاعدة أولية من قواعد التعليم ٠

(٣) المهنة تتطلب إعدادا مهنية ممتدا من التعليم والتدريب المتخصصين على المستوى الجامعي . ولاشك أن ممارسة أية مهنة من المهن ذات المكانة العالية يتطلب فترة طويلة نسبيا من الاعداد السابق بحيث يحتل التخصص أطول فترة ممكنة (عبدالجواد ،١٩٨٣م ، ص ١٧) . وهذا ما قد وجه اليه علماء المسلمين من التأهيل أو الاعداد لهذه المهنة فقد اشترط العلموي (١٣٤٩ هـ) لمن يقوم بها أن " تكتمل أهليته ويشهد له به صلحاء مشايخه "ص ٤٤. وهذا أيضا ماذهب اليه ابن جماعة (١٣٥٤ هـ) وزاد " ولا يذكر الدرس من علم لايعرفه فان ذلك لعب في الدين وازدراء بين الناس "ص ٤٥

(٤) المهنة خدمة حيوية من الناحية الاجتماعية ترتفع عن مستوى الاستغلال والتركيز على تحصيل الكسب الشخصي . أي أن المهنة تهتم بالخدمة التي يجب أن تقدمها للمجتمع . والمعلم الواعي بجوانب مهنته يمكن أن يعمل من أجل حياة أفضل لمواطني الغد . .كما أن الجانب الأوضح في مهنة التعليم هو خدمة الآخرين لا استغلالهم ولا الرغبة في تحصيل كسب مادي . وهذا يحتم على الممارسين لها أن يؤدوا واجبات معينة بغض النظر عن آية اعتبارات أخرى (عامر ،١٩٨١م ، ص ١٤٨). هذا وقد كان الامام العلموي (١٣٤٩ هـ) يرى أن العلم ليس وسيلة للتكسب فيعطى لمن أعطى مالا ويمنع عمن لم يعط مالا أو لم يستطع أن يعطي فقال : على المعلم " أن لا يطلب على تعليمه أجرا ولا يقصد به جزاء ولاشكور" ص ٤٤ . ومما يؤكد ذلك ماينسب الى الامام الشافعي رضي الله عنه حيث قال : " وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على أن لاينسب اليّ حرف منه " (ابن جماعة ،١٣٥٤ هـ ،ص ١٩). ولهذا يتطلب من المعلمين أن يقدموا لغيرهم كالتلاميذ ولمجتمعهم خدمة بعيدة عن الاستغلال وأن ينزهوا أنفسهم عن النظر الى المال

ولا يربطو عملهم بشيء من أمور الدنيا كالمال والشهرة .و أن يقتدوا بسلف هذه الأمة فقد كانوا ينشرون العلم بين الناس دون النظر الى أي اعتبارات أخرى .

(٥) المهنة يكون لها تنظيم مهني قوي يطلق عليه - الدستور الأخلاقي - يرجع اليه عند الضرورة ، والمهن المتعارف عليها لها تنظيماتها المهنية التي تعتبر وسيلة لتقرير أهداف موحدة وآراء متحدة لأعضائها ، ثم إن أعضاء المهنة هم الذين يضعون الدستور الأخلاقي وتفسيره ، كما أنه منوط بهم مراقبة مدى تنفيذه والالتزام به من جانب أعضاء المهنة (عبد الجواد ،١٩٨٣م ،ص ١٧). وقد كان لعلماء المسلمين النصيب الوافر في التنظيمات المهنية وفي الالتزام بمبادئ وأخلاقيات مهنة التعليم المنبعثة من تعاليم الدين الاسلامي فالمعلم لابد أن يكون إنسانا متواضعا فاضلا ورعا يعتبر مسئوليته الأولى اعداد طلابه ليكونوا مسلمين صالحين يعيشون حسب مبادئ الشريعة الاسلامية ثم ان هذا الالتزام يؤدي الى انتاج تعليم هادف ومنظم ومؤثر فهذا العلموي (١٣٤٩هـ) يوجه المعلم الى الالتزام بمبادئ الأخلاق الاسلامية والتأدب بآداب العلم فيقول : " اذا عزم - المعلم - على التدريس ... أن يصلي ركعتي الاستخارة ، وينوي نشر العلم وتعليمه ، وبث الفوائد الشرعية ، والاجتماع على ذكر الله ... وأن يديم ذكر الله تعالى .. وأن يصون بدنه عن الزحف والتنقل عن مكانه ويديه عن العبث والتشبيك بهما ، وعينيه عن تفريق النظر بلا حاجة " ص ص ٥٣ - ٥٤ . أما ابن جماعة (١٣٥٤ هـ) فيرى " أن أهم مايبادر به اللبيب شرخ شبابه ، ويدئب نفسه في تحصيله واكتسابه حسن الأدب الذي شهد الشرع والعقل بفضله ، واتفقت الآراء والألسنة على شكر أهله وإن أحق الناس بهذه الخصلة الجميلة وأولاهم

بحيازة هذه المرتبة الجليلة أهل العلم الذين حلوا بـه ذروة المجد والثناء ، وآحرزوا به قصبات السبق الى ورثة الأنبيـاء" ص٢٠١ . ولهذا فان لأخلاقيات مهنة التعليم والالتزام بها آثر كبير في ممارسة العمل والتزام السلوك اذ أنه لاقيمة للفـرد ولا للمجتمع ان لم تحكمه ضوابط ومعايير تمنعه من الانقياد وراء الشهوات .

(٦) آن يتمتع أعضاء المهنة بقدر من حرية التصرف في ممارسة العمل المهني لأن المهني غالبا ما تواجهه مشكلات تتطلب قدرا مـن المبادرة واتخاذ القرارات . لذا فتوفر قسط من الحرية أمـر ضروري ويتم ذلك في ضوء آهداف المهنة وأخلاقياتها (عبدالجواد ، ١٩٨٣م ،ص ١٨) . فالمعلم يمارس مدى معين من الحريـة في مهنتـه حيث أنه يحدد مستوى المتعلم ويقومه وفي ذلك قال العلمـوي (١٣٤٩ هـ) ان المتعلمين متفاوتون عقليا وكل له استعداداتـه الخاصة به لذا يلزم المعلم أن " يخاطب كل على قدر درجتـه وفهمه وهمته ، فيكفي للحاذق بالاشارة ، ويوضح لغيره بالعبـارة ويكررها لمن لايفهمها الا بالتكرار ويبدآ بتصوير المسألة ثـم يوضحها بالأمثلة ... " ص ٤٩ . كما آن من واجب المعلم كمايرى العلموي (١٣٤٩ هـ) آنه " اذا سلك الطالب فوق مايقتضيه حاله ، وخاف ضجره آوصاه بالرفق بنفسه ، وكذلك اذا ظهر له منه نوع من سآمة آو ضجر آمره بالراحة ، ولايشير على الطالب بتعلم مـا لا يحتمله فهمه وسنه ، ولا بكتاب يقصر عنه ذهنه " ص ٥٢ . وهـذا آيضا ما آشار اليه الامام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ، الجزء الأول (د.ت ، ص ٥٥) وابن جماعة في كتابه تذكرة السامع والمتكلم في آدب العالم والمتعلم (١٣٥٤ هـ ، ص ٥١) . والمعلـم بهذا يملك قدرا من الحرية في مهنة التعليم حيث آنها مشروطـة

يتحمل مسئولية أحكام المعلم وقدراته في الوقوف على قدرات تلاميذه واستعداداتهم الخاصة ومن ثم توجيههم الى مايراه المعلم مناسبا لهم من العلوم وحتى يستطيع هو أيضا أن يقدم لهم من التعليم مايناسبهم ويتلاءم مع قدراتهم. وبالاضافة الى ذلك فان الحرية التي يتمتع بها المعلم في مهنة التعليم مكفولة تجاه المادة أو المواد التي يقوم بتدريسها وتجاه الطرق والوسائل التي يتم بها التدريس وتجاه الكتب والمراجع اللازمة للتعليم. ثم إن هذه الحرية تقابلها مسئوليات كبيرة يفرضها عليه ويحمله اياها دينه وضميره وذلك لأن " تعليم العلم من أهم أمور الدين وأعلى درجات المؤمنين " (ابن جماعة ،١٣٥٤ هـ ، ص ٤٧).

(٧) تؤكد المهنة على أهمية التعليم الذاتي والتدريب أثناء الخدمة حتى يستطيع أفرادها المواءمة بين التراكم المعرفي السريع والمشكلات الناجمة من ناحية ، وقدراتهم وثقافتهم المهنية من ناحية أخرى (عبدالجواد ،١٩٨٣م ،ص ١٨) ولهذا فقدأدرك علماء المسلمين أن التقدم التربوي والعلمي والمهني دائم الاستمرار ، ولذا فانه اذا لم يكن المعلم على رأس هذا التقدم فسوف تصبح الفجوة بينه وبين هذا التقدم كبيرة يصعب التغلب عليها مؤخرا ومن اهتمام العلموي (١٣٤٩ هـ) بذلك قوله : " أن لايخل بوظيفة من حضور درس ومذاكرة وقراءة ونحوها " ص ٤١ . كما أن الآجري (١٩٨٦م) أرشد الى ضرورة تفهم ظروف العصر والاحاطة بمستجداته حين اشترط على المعلم أن يكون " بصيرا بزمانه وفساد أهله " ص ٧٧ . وذلك لأن العلم لا يثبت على حال بل يضاف اليه كل يوم جديد ولهذا نجد ابن جماعة (١٣٥٤ هـ) يحث المعلم على أن " لايؤخر فائدة تمكن منها ، أو يشغله الأمل

والتسويف عنها ، فان في التأخير آفات ، ولأنه إذا حصل عليها في الزمن الحاضر ، حصل في الزمن الثاني على غيرها ،فالعلم لايتناهى " ص ١٣٤ • وبهذا فان التدريب أثناء الخدمة والاطلاع والتعليم المستمر من أهم مقومات المهنة نظرا لأنها تسهم في التجديد المعرفي والمهاري للقائمين على المهنة • يقول ابن قتيبة (٣٥٣؛ هـ) " لايزال المرء عالما ماطلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل " ص ١١٨ •

ومن خلال ماسبق يتضح آنّ التعليم مهنة شأنها شأن المهن الأخرى فقد تطور وأصبح لا يقل أهمية عن آية مهنة آخرى • ثم اننا اذا طبقنا المعايير السابقة على التعليم وآراء المفكرين المسلمين لوجدنا آنه يتميز بكل المواصفات المطلوبة لاعتباره مهنة من المهن الأصلية من حيث مستويات العمل وتقسيمه • ثم ان مهنة التعليم ليست كما كانت مهنة من لا مهنةله ، وانما أصبحت علما وفنا كما سجل ذلك كثير من رجال التربية • فالتدريس في مجال التعليم من آخطر المهن وآكبرها مسئولية ويحتاج المعلم فيها الى ثقافة عالية • بالاضافة الى أن المعلم له دور كبير في مهمته التربوية والتعليمية • فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله " انّما بعثت معلما " (سنن ابن ماجة ، ١٤٠٣ هـ ،ص ٤٩)• ولهذا فاننا نتطلع ونحتاج في وقتنا الحاضر الى معلما واعيا يتحمل آعباء هذه المسئولية ويسعى دائما الى مستوى آفضل •

قواعد مهنة التعليم :

انّ التعليم يجب أن يكون مهنة يلتزم العاملون فيها بمعطياتها وآدابها ولا يمارسها الا أصحاب العلم بأصولها وتطبيقاتها ، ولابد للقائم بها قواعد وآداب يتلزمها أثناء الممارسة وهذه القواعد تتمثل في :

(١) القواعد المهنية .

(٢) القواعد الأخلاقية .

(٣) القواعد الصحية والجسمية .

أولا : القواعد المهنية :

(١) الالمام بمادة التخصص :

لكي يستطيع المعلم أن يؤدي رسالته التربوية كما ينبغي فلابد أن يكون على نصيب وافر من المعرفة بالعلم الذي يقوم بتعليمه . لأن تعليم العلم وتبسيطه للمتعلمين لايتم الا بعد فهمه والتعمق فيه ، وهذا مادعى اليه العلموي حين اشترط لمن يقوم بمهنة التدريس أن يكون مؤهلا لذلك قادر على دفع كل شبهة عن نفسه وعن مادته (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص ٤٤). ثم انّ المام المعلم بالمادة التي يدرسها يجنبه الوقوع في الخطأ حيث أن الأخطاء العلمية عند المعلم تقلل ثقة المتعلمين به فلايقبلون على الاستفادة منه ولا يميلون الى الاقتداء به .

ومن هنا تبرز أهمية الالمام بالمادة العلمية والاستمرار في طلب العلم لكشف ماخفي على المعلم من أسرار ذلك العلم ، يقول النحلاوي (١٣٩٩هـ) أنّ من صفات المربي المسلم " أن يكون دائم التزود بالعلم والمدارسة له ... ، وأن يكون على نصيب من المعرفة بالعلم الذي يدرسه ... لأن كثرة الأخطاء عند المعلم تقلل ثقة الطلاب بمدرسهم ، وتؤدي الى استهتارهم به وبما

يدعوهم اليه من الفهم والاتقان العلمي والحفظ والتطبيق ، وقد يؤدي ذلك الى شك الطلاب بما يعلمهم ايّاه فلا يستفيدون منه شيئا " ص ١٥٧. ومع أن غزارة المادة العملية في ميدان التخصص أمرا ضروريا لكنها لاتكفي ليكون المعلم ناجحا في مهمته بل لابد من تزويده عن طريق النشرات ، أو الدورات بأحدث ماوصل اليه البحث العلمي في كل من ميادين التخصص العلمي والجانب المهني ، بالاضافة الى دور كليات اعداد المعلمين من الاعتماد على الأساليب الجديدة في إعداد المعلمين لهذه المهنة ومن ثم تدريبهم على ماينبغي أن يقوموا به في هذا المجال ، ثم إنّ ضرورة البحث العلمي وحب المعلم للاطلاع المستمر تفرضها عليه طبيعة العمل حيث أن التقدم التربوي والعلمي دائم الاستمرار. والمعلم في التصور الاسلامي عالم بالضرورة وحرى بكل معلم مسلم أن يضع هذه الحقيقة نصب عينيه وأن يبذل قصارى جهده للوصول اليها.

(٢) الثقافة العامة :

إنّ مما يتطلب لممارسة مهنة التعليم أن يكون المعلم على جانب كبير من الثقافة العامة دون الاقتصار على جانب التخصص أو على المعلومات التي أكتسبت عن طريق الدراسة أو السماع ، فالالمام بالمادة العلمية لايتوفر للمعلم بمجرد تخرجه من كلية إعداد المعلمين ، أو من الجامعة ، حيث أن هذا المستوى يأخذ في الهبوط نتيجة لعامل النسيان ، وهذا مايجب أن يتنبه اليه المعلمون حيث من الواجب عليهم التعليم المستمر وعدم الاكتفاء بما لديهم من علم ، فالمواقف التعليمية التي يتعرض لها تحتاج الى سعة الأفق الثقافي والى الدراسة النظرية والتطبيقية لعلم النفس وفروع التربية المختلفة التي تسهل له أمر النجاح في مهمته. قال تعالى : ﴿ **وقل رب زدني علما** ﴾ طه ،١١٤. ومن هنا ينصح العلموي المعلم بالاشتغال بالقراءة والمطالعة والبحث العلمي وأن يكون على قدر كبير من المعرفة ملما بالأوضاع الاجتماعية والثقافية متفهما لأحوال عصره (العلموي، ١٣٤٩هـ ، ص ٤١).

ومما يتطلب على القائمين على التربية والتعليم ولتحقيق نمو المعرفة والثقافة لدى المعلم والمتعلم هو تنظيم مراكز أبحاث تربوية لتزويد المعلمين بأهم النشرات والمجلات التربوية وكل مايتعلق بالدراسات النفسية والتربوية ، بالاضافة الى إنشاء مكتبات عامة وتزويدها بأحدث وأثمن الكتب العلمية .

(٣) التأهيل التربوي :

إنّ الاتقان العلمي وحده لايكفي مالم يكن مصحوبا بمهارة جيدة وخبرة، خاصة في اتباع الأساليب والطرق التربوية . لذا فان الحاجة الى المعلم المؤهل لمهنة التدريس يعتبر عاملا مهما في التربية والتعليم لأن مسئوليته تتطلب أن يكون متقنا للطرق التربوية الناجحة عارفا بالأسلوب الذي يصلح لكل موقف من مواقف التعليم .

والمعلم اذا قام بدوره التربوي كما يجب فانه يحول الخبرة الى سلوك وينقل أهداف التربية ومناهجها الى حقيقة ملموسة هذا وقد عرف المربون المسلمون كثيرا من الطرق التربوية ونصحوا باتباعها . فهذا الامام العلموي يوجه المعلم الى الدور التربوي الذي تتحدث عنه النظريات وعلم النفس الحديث فيوجه الى أمور يجب مراعاتها في عملية التدريس وهي :

(أ) مراعاة ميول المتعلمين :

مما أكد عليه المربون قديما وحديثا أهمية معرفة المعلم لميول وقدرات واستعدادات المتعلمين بالاضافة الى معرفة نفسياتهم ،وقد وجه العلموي الى أن هذه الأمور كفيلة بأن تعين المعلم على أن تسير بالمتعلمين حسب ميولهم واتجاهاتهم . فهو يرى أنّ المعلم عليه أن يراقب طلابه في دراستهم فاذا رأى أحد طلابه لايميل الى دراسة علم من العلوم أو لا يرجى فيه نجاحه يجب عليه أن ينصحه بدراسة علم يكون

فيه نجاحه (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ،ص ٥٢)٠ وبهذا يكون قد طبق العلموي مبدأ التوجيه المهني الذي ينادي به رجال التربيةوالتعليم في وقتنا الحاضر٠ والامام العلموي عندما وجه الى ذلك قد سبقه علماءالمسلمين كابن جماعة ومحمد بن الحسن حين بدأ محمد بن اسماعيل البخاري يتعلم الفقه فنصحه ابن الحسن بتعلم علم الحديث لأنه وجد أن الحديث يناسبه أكثر فترك الفقه ودرس الحديث فأصبح فيه بارزا (عبد الدائم،١٩٧٣م ، ص ١٩١)٠

ومن الملاحظ غياب هذا المبدأ وعدم الاهتمام به في بعض المدارس والجامعات في وقتنا الحاضر ، حيث أن الطالب يختار دراسة أحد الفروع بطريقة عشوائية دون توجيه أو ارشاد من معلميه ، أو بناء على رغبة والديه ، أو حينما يجد أحد زملائه قد التحق به فتكون النتيجةسلبية، فقد يواصل التلميذ دراسته في ذلك الفرع أو قد يحدث تسربا أو تحويلا من علم الى آخر وفشلا في الدراسة ، وهذا هو الغالب ٠ وقد يكون نتيجة ذلك هو التوجيه الدراسي المبني على عدم الالمام والمعرفة بميول المتعلمين وقدراتهم واستعداداتهم٠

لذا فانه يلزم كل من اختار العمل بمهنة التعليم مدرسا أو موجها أو مرشدا أن يراعي ذلك في مهنته بحيث يوجه المتعلمين ويرشدهم الى دراسة المواد التي تتناسب مع قدراتهم حتى يستطيعوا أن يستفيدوا ويفيدوا مجتمعهم وأمتهم وبهذا نكون قد وضعنا الشخص المناسب في المكان المناسب ٠ فالمتعلمون وان كانوا يتحدون في صفات معينة الا أنهم يختلفون فيما بينهم في مقدار هذه الصفات ، ويجب على المتعلم ملاحظتها والتوجيه السليم نحو هذه الميول ٠

(ب) **مراعاة الفروق الفردية :**

إنّ من الأمور التي يجب أن يتنبه لها المعلم في طريقة تدريسه مراعاة الفروق الفردية سواء من ناحية الذكاء أو من ناحية اتجاهات وميول المتعلم في جميع مظاهر نموه وجوانب حياته . هذا وقد نبه علماء المسلمين الى مبدأ الفروق الفردية وأهمية مراعاتها في مجال التربية والتعليم . ومنهم الامام العلموي الذي وجه المعلم الى أن يفهم كل واحد من المتعلمين بحسب فهمه . فالبعض تكفيه الاشارة والبعض صريح العبارة والبعض الآخر لم يفهم الا بالتكرار (العلموي ،١٣٤٩هـ ، ص ص ٤٨ ، ٤٩) . وهذا ماتنادي به التربية الحديثة حيث نادى (جون ديوي) بضرورة مراعاة الفروق بين التلاميذ ، وبضرورة مراعاة ميولهم ورغباتهم وضرورة استغلال هذه الدوافع والميول في جذب انتباههم (الشيباني ،١٩٨٢م ،ص ٣٦) .

ومن هنا يلزم المعلم في مدارسنا أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه اقتداء في ذلك بالرسول صلى الله عليه وسلم المعلم والمربي الأول وتوجيهات علماء المسلمين وما دعت اليه التربية الحديثة ،وذلك لأن المتعلم لايتقبل كل مايرد عليه مالم يكن على قدر عقله وموافقا لاستعداداته . ومن هنا تظهر أهمية تطبيق هذا المبدأ في طرق التدريس وعدم الاعتماد على طريقة واحدة في التدريس ، وملاحظة ميول التلاميذ واتباع الطرق الكفيلة بتوصيل المعلومات والخبرات لكل تلميذ بما يتناسب مع مستواه العقلي والعلمي ومرحلة نموه .

(جـ) **مراعاة القدوة الصالحة :**

إنّ التعليم لايقتصر على المعلومات والمهارات المختلفة وانما يمتد الى أبعد من ذلك ليمثل خبرات جوانب الشخصية على نطاق واسع بما فيه من مهارات وعادات وقيم واتجاهات مرغوبة . فالمعلم الصادق الناصح

يجعل مسئوليته التربوية تحتم عليه أن يتمسك بالمبادئ ويعمل بها قبل أن يدعو المتعلمين اليها وليجعل من نفسه قدوة صالحة لطلابه وهذا ما دعى اليه العلموي (١٣٤٩هـ) حين قال : " أن يكون عاملا بعلمه غير مناقض فعله قوله " ص ٤٥ . لأن الهدف الأساسي من التعليم هو مساعدة المتعلم وتعليمه في تحقيق ذاته لا بمساعدته في تحقيق أهدافه المعرفية فحسب . ثم ان ديننا الاسلامي يرى أنه لاقيمة في قول لايترجم الى عمل ولا في علم لاينتج عنه عمل صالح بمقتضاه .

والمعلم المسلم في نظر الاسلام هو الذي يصدق عمله قوله وينعكس عمله على سلوكه ، قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴿** الصف ،٢ ـ ٣ . فالعمل هو روح العلم ولافائدة في علم لايعمل به صاحبه . وهكذا فان المعلم إذا لم يعمل بعلمه ، ولم يطابق فعله قوله فليس بأهل لأن يؤخذ عنه أو يقتدى به ، لأنه من علماء السوء الذين يجنون على أنفسهم وعلى أتباعهم . فالمتعلم هو القدوة لتلاميذه في أخلاقيات المهنة وفي سلوكه بصفة عامة يثق به المتعلم وفي نظره العام أيضا مما ينعكس أثرها على المتعلم .

لذا فإنّ التربية الاسلامية تسعى لإيجاد المعلم المسلم كريم الأخلاق بعيدا عن النقائص ، والذي توافق سريرته علانيته ، ويطابق عمله علمه لأن من مسئوليات المعلم كما يرى الامام الغزالي (د.ت) " أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله ... وكل من تناول شيئا وقال للناس : لاتتناولوه فانه سم مهلك ، سخر الناس به واتهموه ، وزاد حرصهم على مانهوا عنه فيقولون : لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به ، ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود ، فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ، ومتى استوى الظل والعود أعوج " ص ٥٢ .

ثانيا : الآداب والقواعد الأخلاقية :

إنّ التعليم إن لم يهتم بالأخلاق وتهذيب النفوس فلا قيمة له ، اذ أن التعليم الناجح يستهدف إصلاح النفوس وتقويم السلوك ٠ وبما أن المعلم هو عامل هام في تشكيل سلوك الطالب وبالتالي سلوك أبناء المجتمع ٠ لذا فان التعليم الجيد يتطلب أن يقوم به معلم على جانب كبير من الآداب الأخلاقية التي تظهر على سلوكه وتؤثر في طلابه ومنها :

(١) الاخلاص في العمل :

إن من القواعد الأخلاقية المبتغاة لمهنة التعليم أن يكون المعلم مخلصا في عمله لأن غاية التعلم وتعليمه هو التعبد لله سبحانه وتعالى وقد قال العلموي (١٣٤٩ هـ) حاثا على ذلك : " أن يستحضر في ذهنه كون التعليم من أفضل العبادات ليكون ذلك حاثا على النية الصالحة والنفع العام " ص ٤٥٠ لأجل ذلك يجب على المعلم أن يكون قصده من التعليم والتدريس وجه الله ٠ لا لغرض دنيوي أو مال أو جاه أو شهرة وفي هذا يقول الامام الغزالي (د٠ت) " ان التعلم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك " ص ٥٤ ٠ ولذا ينبغي أن يكون المعلم المسلم مخلصا في عمله مرشدا أمينا لمن يتعلمون على يديه ناصحا لهم حريصا على مصلحتهم ، لايبخل بشيء من علمه عليهم٠ ويلزمه كما ذكر العلموي (١٣٤٩ هـ) أن " يحرضهم بالأقوال والأفعال على الاخلاص والصدق وحسن النيات ، ومراقبة الله تعالى في جميع اللحظات ، وأن يداوم على ذلك حتى الممات ، ويعرفهم أن بذلك تفتح عليهم أبواب المعارف ، وتنفجر من قلوبهم ينابيع الحكمة واللطائف ، ويوفق للاصابة في قوله وفعله " ص ص ٤٥ – ٤٦ ٠

وهكذا فانّ المعلم الذي يبتغي بعلمه مرضاة الله والاخلاص في علاقته مع خالقه لا يكتفي باعطاء ماعنده من معلومات على المتعلمين بل تحتم عليه مسئوليته التربوية أن يكون صورة مشرفة للسلوك والمعاملة الحسنة مع

زملائه ومع تلاميذه . فيعطي كل ما يملك لتلاميذه عن رضا وقناعة وإيمان محتسبا أنه يؤدي واجبا إنسانيا يرجو ثوابه من عند الله . وتجده صابرا على معاناة مهنته متحملا لمشاقها غير مبال بالمتاعب والمشاكل التي قد تعترض سبيله . فالمعلم بقدر مايملك من إخلاص يكون نجاحه في عمله وتحصل الفائدة المرجوة منه .

(٢) الرفق في معاملة التلاميذ وحسن استقبالهم :

إنّ مما يجب على المعلم تجاه تلاميذه أن يرفق بهم ، ويأخذ بأيديهم ويعاملهم معاملة الوالد والرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه والتي تتمثل في الرحمة والرفق بالآخرين وحسن معاملتهم ، والمحبة لهم. ثم انّ من طبيعة البشر محبة من يعطف عليهم ويحسن معاملتهم ويتأثرون به وينفرون ممن يقسو عليهم ولا يظهر لهم المودة وذلك لأنه لاشيء أكثر تأثيرا في سلوك الآخرين من الأخلاق الكريمة (السيد ، ١٣٩٨ هـ ، ص ٧٣). ومما تسعى اليه التربية الحديثة ودعا اليه علماء التربية مايلي : -

(أ) أن يرفق المعلم بالمتعلمين ويحبهم ويشفق عليهم ويتواضع لهم.

(ب) أن يقابلهم بالبشاشة وطلاقة الوجه وحسن المعاملة.

(جـ) أن يحب لهم مايحب لنفسه (العلموي ، ١٣٤٩هـ ، ص ٤٦).

وبذلك يستطيع المعلم التأثير في المتعلمين بالاضافة الى أن الرفق وحسن المعاملة للمتعلم تشعره بالأمن وتزيل عنه كراهية المدرسة والمدرسين وتشعره بالاطمئنان (شكري ، د.ت ، ص ٨٧). فالتشجيع والتقدير والثناء كلها آمور شأنها أن تزيد في عملية التعليم لاسيما إذا شجع المعلم المواهب والقدرات الكامنة في نفس المتعلم. ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة حيث كانت حياته تجسيدا لعواطف المحبة والرحمة والشفقة . قال تعالى : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا**

من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إنّ الله يحب المتوكلين * آل عمران ،١٥٩ . فالمتعلم قد يخطيء أو يحصل منه هفوة مع معلمه أو مع الآخرين ، أو يحدث منه سوء خلق، فعلى المعلم أن يعالج مثل هذه الأمور وغيرها بالحكمة والصبر وتنبيهه بطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ والنقمة (العلموي ،١٣٤٩ هـ ،ص ٤٦).

ثم إنّ استقبال المعلم لطلابه في المدرسة بالبشاشة والفرح يساعدهم على تجاوبهم مع مدرسهم واستيعاب مايقدمه لهم من معلومات في حجرة الدراسة ومع أنّ معاملة المتعلمين باللين والرحمة والشفقة من أهم العوامل في نجاح التربية إلا أن ذلك لايعني تركهم على سجاياهم يفعلون مايشاؤون وعدم ضبطهم . اذ لابد أن يكون المعلم حازما يضع الأمور في نصابها ،فلا يشتد حيث ينبغي التساهل ولايتساهل حيث تجب الشدة وهذه المرونة تجعل المعلم محبوبا من المتعلمين . قال العلموي (١٣٤٩ هـ) في طريقة معاملة المتعلم: " أن يزجره عن سوء الأخلاق ... بطريق التعريض والتلويح لا بطريق التصريح، فإن إنزجر لذكائه بالاشارة فذاك ، وإلا نهاه سرا . فان لم ينته نهاه جهرا، ويغلظ القول عليه إن إقتضاه الحال لينزجر هو وغيره ، ويتأدب به كل سامع ، فان لم ينته فلا بأس حينئذ بطرده والاعراض عنه الى أن يرجع " ص ص ٤٦ – ٤٧ . وبذلك يدعو العلموي المعلم الى أن يقرن الشدة بالرحمة والعزم والصبر ، والتلاميذ في الواقع لايضطبهم إلا معلم رحيم صبور قوي، يوفر لهم المناخ الملائم للتعليم ، ويبعد العوامل الانفعالية التي تحد من فاعلية العملية التربوية حيث أن الاطمئنان النفسي دعامة أساسية في الحياة .

(٣) العدل والمساواة بين الطلاب :

من القواعد الأخلاقية التي يلزم المعلم اتباعها مع طلابه في حجرة الدرس أن يعاملهم بالتساوي دون النظر الى الشرف والجاه والغنى بل الفضل لمن يبذل جهدا أكثر أيا كان عنصره يقول العلموي (١٣٤٩ هـ): " ولايظهر الشيخ - المعلم - للطلبة تفضيل بعضهم على بعض لاسيما اذا تساووا في الصفات . من سن أو فضيلة ، أو تحصيل أو ديانة ،فترجيح بعضهم على بعض مما يوغر الصدور ، فاذا ظهرت فضيلته يثنى عليه في حد ذاته من غير تصريح بأن فلانا أفضل من فلان " ص ٥١ . ويضع ابن جماعة (١٣٥٤ هـ) امام المعلمين صورة طيبة للمساواة والعدل بين التلاميذ وعدم تفضيل بعضهم لغنى أو جاه أو حسب بما يحكيه عن شريك الذي كان معلما فيقول : حضر بعض أولاد الخليفة المهدي عند شريك ، فاستند أحدهم الى الحائط وسأله عن حديث ، فلم يلتفت اليه شريك ، ثم عاد ، فعاد شريك لمثل ذلك ، قال : تستخف بأولاد الخلفاء ؟ قال لا ولكن العلم أجل عندالله من أن أضيعه " ص ص ٨٨ - ٨٩ .

وعلى هذا فان المعلم الجيد الذي يتصف بالعدل والمساواة هو الذي لايميل الى أحد من طلابه دون غيره ، ولا يؤثره بغير حق على زملائه بل يتمسك بالانصاف ويعطي كل ذي حق حقه وبذلك يهيء بيئة صالحة للتعليم خالية من كل أسباب الحقد والضغينة وفي رأي العلموي (٣٤٩ هـ) أن أصلح المعلمين من إذا " فهم فائدة من البعض في البحث وان كانت من صغير فينصفه بها ، ويشكره عليها فان ذلك من بركة العلم " ص ٥١ .

ثالثا : القواعد الصحية والجسمية :

انّ القواعد الصحية للمعلم تعني ممارسته لها بحيث تكفل له التمتع بالصحة وتكسبه عادات يمارسها في حياته اليومية وتجعل عنده القابلية والاستعداد للتعليم والتعلم. وبما أن الصحة عنصر أساسي في موضوع التعليم فانّ العلموي وبعض علماء المسلمين وضعوا بعض القواعد الصحية والجسمية لمن يمارس مهنة التعليم يلزمهم تطبيقها في حياتهم اليومية ومن هذه القواعد مايلي :

(١) النظافة :

إنّ النظافة من القواعد الهامة في تكوين الحياة الصحية لكل فرد من أفراد المجتمع ، وقد حث الاسلام عليها ومنح الله وسام حبه لمن اتصف بها ، قال تعالى : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب **المتطهرين** ﴾ البقرة ، ٢٢٢ ، وقال صلى الله عليه وسلم " ان الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ..." (الترمذي ، الجزء الرابع ،د.ت ، ص ١٩٨) فالمعلم يلزمه :

(أ) أن يحافظ على نظافة بدنه وملابسه وذلك بإزالة الأوساخ والروائح الكريهة التي يتأذى منها الغير واحتراما لمجلس العلم.

(ب) قص الأظافر وازالة الشعور المطلوب ازالتها ، وقد جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم " خمس من الفطرة . الختان والاستحداد ، ونتف الابط ، وتقليم الأظافر ، وقص الشارب " (البخاري،الجزء ٥، ١٤٠٧ هـ ، ص ٢٢٠٩).

(جـ) استخدام السواك أو مايقوم مقامه (كالفرشة) لنظافة الفم والأسنان .

فالمعلم اذا سلك السلوك الصحي السليم فانه يعتبر قدوة لتلاميذة ومثلا أعلى لهم ،وهذا ما وجه اليه الامام العلموي (١٣٤٩ هـ) بقوله :"أن ينظف

ويطيب بدنه وثوبه ويختار له لبس البياض .. " ص ٥٣ .

فالمعلم إذا كان نظيف البدن والثوب كان أكثر قربا الى قلوب طلابه ، وأشد قدرة على التفاعل معهم . وعلى كل فأن تطبيق هذه المناهج الصحية سبب الى توفير الصحة والسلامة من الأمراض الانتقالية التي قد تصيب الجسم . بالاضافة الى ازدهار الصحة العامة وتطويرها ، كما تسهم في جعل الطب وقائيا . ولذا فان كثيرا من الدول المتحضرة ، ومنظمات الصحة العالمية تحرص على إشاعتها بين جميع الأفراد والشعوب .

(٢) صحة البدن والنفس :

ان الممارس لمهنة التعليم يحتاج الى قوة ونشاط بجانب التأهيل المهني ، ولاشك أن المدرس اذا كان في صحة جيدة يكون أكثر فائدة وأقوى أثرا ، وقوة على التفكير الواضح السليم ، لأن جسم الانسان يعمل كالآلة عن طريقه يعمل العقل ، وكل نشاط بدني يصحبه نشاط عقلي وقد قيل : العقل السليم في الجسم السليم . أما اذا كان المدرس غير صحيح البدن أو النفس فان مرضه يؤثر في تلاميذه ويؤثر في علاقته بهم ، كما يؤثر على علاقته بزملائه من المدرسين وفي أداء عمله . والعلموي تنبه الى ذلك حين وجه المعلم أن لايدرس وبه مايزعجه ، ويذهب استحضاره كمرض ، أو جوع أو عطش ، أو مدافع حدث أو شدة فرح أو غم ، أو غضب أو نعاس أو قلق . لأنه ربما أفتى أو أجاب بغير صواب (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٥٥) . كما أن صحة البدن لها أثر في الناحية العقلية وغيرها ، حيث جاء فيما ذكره عبد العال (١٤٠٥ هـ) " أن الحالة الجسمية للفرد لا تؤثر في حياته العقلية فحسب بل يمتد تأثيرها ليشمل الشخصية كلها ، وذلك لأن أجهزة الجسم وعاؤها الجسد وهي ليست بمعزل عن هذا الوعاء ولاتستطيع أن تقوم بمعزل عنه ، والكيان الجسدي أو البيولوجي هو الأساس الذي تقوم عليه الشخصية ، وهو أساس نموها في كافة النواحي طوال الحياة " ص ١٨٠ – ١٨١ . ومن هنا يتطلب من المعلم

الاهتمام بتنمية الجسم وقوته والمحافظة على الاتزان النفسي من خلال :

(١) التقيد بمنهج التغذية الذي وضعه الاسلام ودعا اليه العلموي وعلماء المسلمين ٠

(٢) معرفة ما يتصل بالفائدة من الطعام وتنوعه ، وتجنب مافيه مضرة أو مايخل بالتوازن الصحي ٠

(٣) اعطاء الجسم قدرا كافيا من النوم والتنزه والتفرج كلما شعر بالكل والملل والسأم حتى لايلحق الضرر بالبدن والذهن (العلموي ، ١٣٤٩ هـ ،ص ٣٨)٠

(٤) ممارسة الرياضة والمشي والألعاب الخفيفة المباحة لما لها من أثر على النشاط العقلي ولأنها تبعد السآمة والكآبة ٠

(٥) الابتعاد عن الغضب وكل مايشغل الذهن ويسبب ضيق الصدر من هم أو حزن أو غم أو قلق ، وبذلك يحفظ له طاقته النفسية التي يحتاج اليها في القيام بواجبات التدريس والتعليم ٠

(٣) <u>المظهر العام :</u>

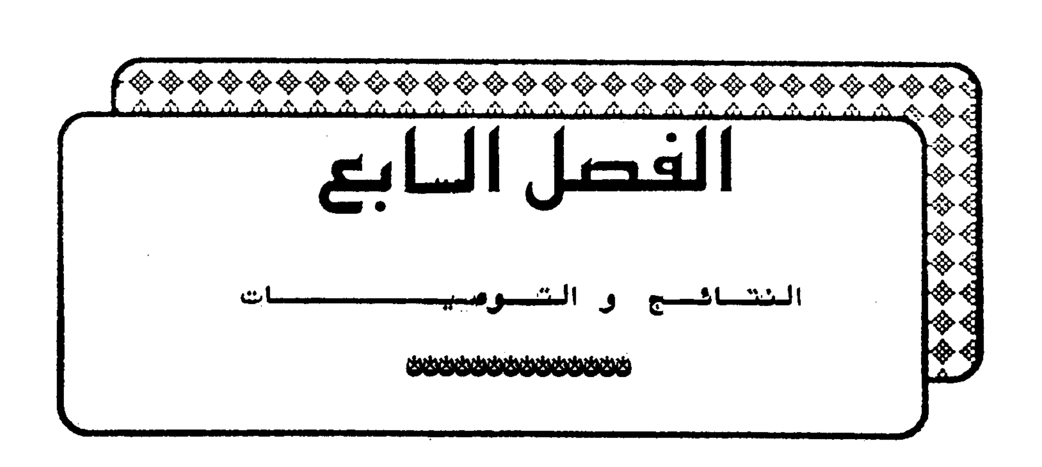
إنّ من متممات شخصية المعلم كما يرى العلموي (١٣٤٩ هـ) " أن يختار له لبس البياض ، ولا يعتني بفاخر الثياب ، ولايقتصر على خلق ينتسب صاحبه الى قلة مروءة ، وأن يتطيب ويسرح لحيته ،ويزيل كل مايشينه " ص ٥٣٠ وكان أبو حنيفة رضي الله عنه يقول لأصحابه " عظموا عمائمكم ، ووسعوا أكمامكم ، قال ذلك لأن لايستخف بالعلم وأهله " (الغزالي ، منهاج المتعلم ،د٠ت ،ص٢٤٢)٠

فالتلميذ يعجب بمظهر معلمه وحسن هندامه ، ويتعلم من ذلك الذوق والترتيب والنظافة ٠ وانّ المعلم يؤثر على التلاميذ بحسن مظهره كما يؤثر عليهم بصحة معلوماته والاستفادة من دروسه والانقياد لنصائحه ،والتأدب بآدابه ٠ وكان ابن جماعة يرى أن لعناية المعلم بمظهره العام أهمية

كبيرة ، وذلك لأن التلميذ يسلك في السمت والهدى مسلكه ، ويتأدب بآدابه ولايدع الاقتداء به (ابن جماعة ،١٣٥٤ هـ ،ص ٩٠)٠

وهذا ماتسعى اليه التربية الاسلامية حين تستهدف بناء الانسان بكل جوانبه الجسمية ، والروحية ، والنفسية ، والخلقية ، والصحية وتسلحه بمهارات ومفاهيم وقيم ومثل يواجه بها الحياة بأبعادها المختلفة (مجلة كلية التربية ، عدد ٦ ، ١٤٠١ هـ ، ص ١٤٣)٠

ومن خلال هذا الفصل يلاحظ أن التعليم عملية تحتاج الى اعادة النظر في وجود المؤسسات التربوية المتخصصة في اعداد المعلم ٠ وهذا يرجع بطبيعة الحال الى الظروف التي نشأت في إطارها المؤسسات التربوية في المجتمعات المختلفة ٠ ثم إن المعايير التي وضعت في العصر الحاضر لمهنة التعليم تكاد تتفق الى حد كبير مع ماحدده العلموي وغيره من علماء المسلمين٠ وقد وضعوا أيضا قواعد وآداب لمهنة التعليم قسمت الى قواعد مهنية ،وأخلاقية ، وصحية يتطلب من العاملون في مهنة التعليم الالتزام بها أثناء الممارسة ، فهي تعينهم ، وتوضح لهم مسار عملهم وتدعم جهودهم ، لأداء رسالتهم على الوجه الأكمل ٠



الفصل السابع

النتائج و التوصيات

أولا : النتائج :

لقد توصل الباحث من خلال دراسته عن **آداب المعلم والمتعلم عند الامام العلموي** الى النتائج الآتية :

(١) انّ العصر الذي عاش فيه عبد الباسط **العلموي** كان نهاية العصر المملوكي وأوائل العصر العثماني ، والذي شهد فيه العالم الاسلامي عدد من الفتن والحروب والانشغال بالفتوحات مما كان له أثر بارز في ضعف الحياة الفكرية .

(٢) يرى الباحث أن كتاب (**المعيد في أدب المفيد والمستفيد**) يحتوي على عدد من الآداب التي تتعلق بالمعلم والمتعلم سواء كانت مهنية ، أو أخلاقية ، أو صحية وهي وان كانت لا تخرج عن الآداب التي ذكرها سابقيه من المفكرين المسلمين الا أنها تؤكد على أهمية تلك الآداب وأهمية تحلي المعلم بها وأثر ذلك في نجاح العملية التعليمية .

(٣) اذا كان التعليم عملية قديمة قدم الانسان فانّ التعليم كمهنة يكاد يكون حديثا نوعا ما ، وذلك لعدم وجود المؤسسات التربوية المتخصصة + في اعداد المعلم حتى وقت متأخر ، وهذا يرجع الى الظروف التي نشأت في اطارها المؤسسات التربوية في المجتمعات المختلفة .

(٤) اذا كان علماء التربية في العصر الحاضر قد حددوا عددا من المعايير الهامة لمهنة التعليم فانها تكاد تتفق الى حد كبير مع ماذكره العلموي وغيره من علماء المسلمين منذ زمن طويل ، وهذا يؤكد أصالة الفكر الاسلامي .

(٥) يحتوي كتاب (**المعيد في أدب المفيد والمستفيد**) على عدد من الآداب التي يمكن اتخاذها قواعد لمهنة التعليم في العصر الحاضر والتي يمكن في ضوئها اعادة النظر في برامج مؤسسات اعداد المعلم .

(٦) انّ القاريء يجد كثيرا من الأدلة والشواهد على اهتمام العلموي بمراعاة مبادي تربوية في جوانب عديدة منها طرق التدريس ، والفروق الفردية ، والقدوة ، وطرق تحصيل العلم وأنه من خلال مراعاته لمثل هذه المباديء التربوية كان مستندا الى ما تضمنه القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح .

(٧) اعادة النظر في أساليب اختيار وانتقاء الأفراد الذين يتقدمون للالتحاق بمؤسسات اعداد المعلم كي تضمن في نهاية الأمر اعداد معلمين تتوافر لديهم القدرات والامكانات التي تؤهلهم للنجاح في مهنة التعليم ، ومن ثم الارتقاء بشأن المهنة ورفع مستوى العملية التعليمية .

ثانيا : التوصيات :

(١) اتخاذ الآداب التي احتواها كتاب (**المعيد في أدب المفيد والمستفيد**) للعلموي قواعد لمهنة التعليم لأصالتها في الفكر الاسلامي والتي تغني عن القواعد المستوردة .

(٢) يمكن لمؤسسات اعداد المعلم حصر الآداب المتعلقة بالمعلم عند العلموي ومحاولة غرسها في نفوس معلمي المستقبل .

(٣) يمكن للجهات المسئولة عن تقويم المعلم اتخاذ تلك الآداب معاييرلتقويم أداء المعلم في الوقت الحاضر .

(٤) توجيه المعلم والمتعلم الى الآداب التي يجب عليهم التحلي بها لنجاح دورهم في عملية التربية والتعليم .

(٥) على الباحثين في مجال التربية الاسلامية محاولة الوصول الى نظرية شاملة في أخلاقيات العملية التربوية مستمدة من الفكر الاسلامي الأصيل .

(٦) يوصي الباحث باستكمال البحث في جوانب الفكر التربوي عند العلموي وغيره من المفكرين المسلمين لاستخلاص نظرية تربوية اسلامية أصيلة .

(٧) يوصي الباحث بضرورة عقد المؤتمر الثاني لاعداد المعلمين على أن تناقش فيه الآراء التربوية للعلموي وأمثاله من علماء المسلمين كأوراق عمل أساسية نحو فكر اسلامي أصيل .

وبالله التوفيق ،،،

"" المصادر والمراجع ""

أولا : المصادر :

(١) القرآن الكريم .

(٢) البخاري ، محمد بن اسماعيل ، (١٤٠٧هـ) **صحيح البخاري**، ط٣ ، دمشق : دار ابن كثير .

(٣) ابن حنبل ، أحمد ، (د . ت) : **المسند** ، بيروت ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر .

(٤) ابن سوره ، محمد بن عيسى ، (د . ت) : **سنن الترمذي** ، ج ٤ ، ضبط ضبط وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان ، المدينة المنورة ، المكتبة السلفية .

(٥) القزويني ، محمد بن يزيد ، (١٤٠٣هـ) : **سنن ابن ماجة** ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، الرياض ، شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة .

(٦) ابن مسلم ، مسلم بن حجاج ، (١٤٠٣هـ) : **صحيح مسلم** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، دار الفكر .

ثانيا : المراجع :

(٧) الآجري ، محمد بن الحسين ، (١٤٠٥هـ) : **أخلاق العلماء** ،

(٨) أحمد ، لطفي بركات ، (١٤٠٢هـ) : **في الفكر التربوي الاسلامي** ، الطبعة الأولى ، الرياض ، دار المريخ .

(٩) آخوان الصفا وآخرون ، (١٣٨٦هـ) : آداب المتعلمين ورسائل آخرى في التربية الاسلامية ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، الطبعة الثانية ، بيروت .

(١٠) أمين ، محمد محمد ، (١٩٨٠م) : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار النهضة العربية .

(١١) ابن بطوطه ، محمد بن عبد الله ، (١٩٨١م) : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف برحلة ابن بطوطه ، القاهرة .

(١٢) بلوس ، ن . آ ، (١٤٠٣هـ) : اعادة بناء تربية المدرس في المجتمع الاسلامي ، الطبعة الأولى ، من سلسلة المؤتمر العالمي الأول للتعليم الاسلامي ، مكة المكرمة ، المركز العالمي للتعليم الاسلامي .

(١٣) جالجر ، جيمس ، (١٩٦٣م) : الطفل الموهوب في المدرسة الابتدائية ، ترجمة سعاد نصر ، القاهرة ، دار القلم .

(١٤) جابر ، عبد الحميد جابر ، وأحمد خيري كاظم ، (١٩٧٨م) : مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، القاهرة ، دار النهضة العربية .

(١٥) ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة ، (١٣٥٤هـ) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية .

(١٦) الجوزية ، ابن القيم ، (١٣٩٢هـ) : حاوي الأرواح الى بلاد الأفراح ، صححه وعلق عليه حسن ربيع ، الطبعة الثانية ، مطبعة النهضة الحديثة .

(١٧) الجوزية ، ابن القيم ، (د٠ت) : **مدارج السالكين** ، تحقيق محمد حامد الفقي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الكتاب العربي ٠

(١٨) الجوزية ، ابن القيم ، (د٠ت) : **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين** ٠ تصحيح زكريا علي يوسف ، بيروت ، دار الكتاب العربي ٠

(١٩) حسنون ، علي ، (١٤٠٣هـ) : **الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية** ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، المكتب الاسلامي ٠

(٢٠) ابن خلدون ، عبدالرحمن ، (١٩٨١م) : **المقدمة** ، الطبعة الرابعة ، دار القلم ٠

(٢١) ابن خلكان ، أحمد بن محمد ، (١٩٦٩م) : **وفيات الأعيان وأبناء الزمان** ، تحقيق احسان عباسي ،بيروت ،دارصادر٠

(٢٢) راجح ، أحمد عزت ، (١٩٧٠م) : **أصول علم النفس**، الطبعة الثامنة ، الاسكندرية ، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر٠

(٢٣) الزركلي ، خير الدين ، (١٩٧٩م) : **الاعلام** ، الطبعة الرابعة ، الجزء الثالث ، بيروت ، دار العلم للملايين ٠

(٢٤) الزرنوجي ، برهان الدين ، (١٤٠١هـ) : **تعليم المتعلم طريق التعلم**، تحقيق مروان قباني ،الطبعة الأولى ،بيروت، المكتب الاسلامي ٠

(٢٥) سليمان ، عرفات عبدالعزيز ، (١٩٧٧م) : **المعلم والتربية**، دراسة تحليلية مقارنة لطبيعة المهنة ،الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ٠

(٢٦) سليم ، محمود رزق ، (١٩٨١م) : **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، القاهرة : مكتبة الآداب بالجماميز .

(٢٧) السمعاني ، أبي سعد عبدالكريم محمد ، (١٤٠١هـ) : **أدب الاملاء والاستملاء** ، الطبعة الأولى ، بيروت ،دار الكتب العلمية .

(٢٨) السيد ، محمود أحمد ، (١٣٩٨ هـ) : **معجزة الاسلام التربوية** ،الطبعة الأولى ، الكويت : دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع .

(٢٩) السيد ، محمود سلطان ، (١٩٧٩م) : **مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ** ، القاهرة : دار المعارف .

(٣٠) شكري ، أحمد ابراهيم ، (١٤٠١هـ) : **المعلم ومتطلبات اعداده في الحياة المعاصرة** ، مجلة كلية التربية ، العدد السادس ، مكة المكرمة ، مركز البحوث التربوية والنفسية .

(٣١) الشيباني ، عمر التومي ، (١٩٨٢م) : **تطور النظريات والأفكار التربوية** ، الطبعة الثالثة ، الدار العربية للكتاب

(٣٢) صبيح ، نبيل أحمد عامر ، (١٩٨١م) : **دراسات في اعداد وتدريب المعلمين** ،الطبعة الأولى ،القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية .

(٣٣) الطنطاوي ، علي ، (١٣٨٦هـ) : **الجامع الأموي في دمشق** ،دمشق: وزارة الأوقاف بالاقليم السوري ،مطبعة الحكومة .

(٣٤) ابن طولون ، شمس الدين محمد ، (١٣٦٨هـ) : **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية** ، دمشق ، مكتب الدراسات الاسلامية .

(٣٥) ابن طولون ، شمس الدين محمد ، (١٣٨٤هـ) : **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان** ، تحقيق محمد مصطفى ،القاهرة : المؤسسة المصرية العامة .

(٣٦) العاملي ، زين الدين أحمد ، (١٩٨١م) : **منية المريد في آدب المفيد والمستفيد** ، تحليل وتعليق عبد الأمير شمس ، الطبعة الأولى ،لبنان : دار الكتاب اللبناني.

(٣٧) عبد الدائم ، عبد الله ، (١٩٨١م) : **التربية عبر التاريخ** ،الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين .

(٣٨) ابن عبد البر ، يوسف عبد الله محمد ، (د.ت) : **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله** ، المدينة المنورة ، المكتبة العلمية .

(٣٩) ابن عبد البر ، يوسف عبد الله بن محمد ،(١٤٠٢هـ) : **بهجة المجالس وآنس المجالس** ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

(٤٠) عبد الجواد ، شحاته عبد الخالق ، (١٩٨٣م) : **الاختيار والانتقاء لاعداد معلمي المرحلة الثانوية** ، رسالة دكتوراه جامعة الاسكندرية ، كلية التربية .

(٤١) عبد العال ، حسن ابراهيم ، (١٤٠٥هـ) : **فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة** ، الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

(٤٢) عبد القادر ، عبد الرؤوف يوسف ، (١٤٠٨هـ) : أخلاق العالم والمتعلم عند أبي بكر الآجري ، رسالة ماجستير ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، كلية التربية .

(٤٣) عبيد ، أحمد حسن ، (١٩٧٦م) : فلسفة النظام التعليمي وبنيته السياسية التربوية ، دراسة مقارنة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية .

(٤٤) العلبي ، أكرم حسن ، (١٤٠٢هـ) : دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ، الطبعة الأولى ، دمشق : الشركة العربية المتحدة للطباعة والنشر .

(٤٥) العلموي ، عبد الباسط ، (١٣٤٩هـ) : المعيد في أدب المفيد والمستفيد ، تحقيق أحمد عبيد ، دمشق : المكتبة العربية .

(٤٦) العلموي ، عبد الباسط ، (١٩٤٧م) : مختصر تنبيه الطالب وارشاد الدارس ، تحقيق صلاح المنجد ، دمشق : المديرية العامة للآثار .

(٤٧) علوان ، عبد الله ناصح ، (١٣٩٨هـ) : تربية الأولاد في الاسلام ، بيروت دار السلام .

(٤٨) علي ، محمد كرد ، (١٣٨٩هـ) : خطط الشام ، الجزء الثاني ، بيروت ، دار العلم للملايين .

(٤٩) عليان ، شوكت ، (١٤٠١هـ) : طرق تعليم الكبار ، الرياض ، دار الرشيد .

(٥٠) عيسوي ، عبد الرحمن ، (١٩٧٤م) : **علم النفس الفسيولوجي** ، دراسة في تفسير سلوك الانسان ، بيروت : دار النهضة العربية .

(٥١) الغزالي ، أبو حامد ، (د.ت) : **منهاج المتعلم** ، مخطوط ضمن مجموعة رقم (٣٨٣١) الموجودة في مكتبة الحرم المكي الشريف .

(٥٢) الغزالي ، أبو حامد ، (د.ت) : **احياء علوم الدين** ،الطبعة الأولى ، بيروت ، دار القلم .

(٥٣) الغزالي ، أبو حامد ، (د.ت) : **روضة الطالبين وعمدة السالكين** ، دار النهضة .

(٥٤) الغزالي ،أبو حامد ، (١٩٨٤م) : **أيها الولد** ، الطبعة الأولى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .

(٥٥) الغزى ، نجم الدين ، (١٩٤٩م) : **الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة** ، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، بيروت ، دار الفكر .

(٥٦) ابن قتيبة ، محمد بن عبد الله بن مسلم ، (١٣٤٣هـ) : **عيون الأخبار** ، لبنان ، دار الكتاب العربي .

(٥٧) القرضاوي ، يوسف ، (د.ت) : **الرسول والعلم** ، القاهرة ، دار الصحوة للنشر والتوزيع .

(٥٨) المقريزي ، تقي الدين أحمد ، (د.ت) : **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ،المعروف بـ (الخطط المقريزية) ، الجزء الثاني : بيروت : دار صادر.

(٥٩) كحالة ، عمر رضا ، (١٣٩٤هـ) : **مقدمات ومباحث في حضارة العرب والاسلام** ، دمشق : مطبعة الحجاز.

(٦٠) الكيلاني ، ماجد عرسان ، (١٤٠٥هـ) : **تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية** ، الطبعة الثامنة ، المدينة المنورة ، مكتبة دار التراث .

(٦١) مرسي ، محمد منير ، (١٩٨٦م) : **التربية الاسلامية وأصولها وتطورها في البلاد العربية** ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف .

(٦٢) ملايحي ، سيد عباس ، (١٤٠٧هـ) : **العلاقة بين المعلم والمتعلم عند الامام الغزالي** ، رسالة ماجستير ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، كلية التربية .

(٦٣) النباهين ، علي سالم ، (١٩٨١م) : **نظام الدولة الاسلامية في عصر دولة المماليك** ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الفكر العربي .

(٦٤) النحلاوي ، عبد الرحمن ، (١٣٩٩هـ) : **أصول التربية الاسلامية وأساليبها** ، الطبعة الأولى ، القاهرة : دار الفكر العربي .

(٦٥) النعيمي ، عبد القادر محمد ، (١٩٨٨) : **الدارس في تاريخ المدارس** ، تحقيق جعفر الحسيني ، دمشق ، المجمع العلمي العربي .

(٦٦) النووي ، يحي بن شرف الدين ، (د.ت) : **المجموع** ، الجزء الأول ، تحقيق محمد نجيب الفجالة ، المكتبة العالمية .

(٦٧) النووي ، يحي بن شرف الدين ، (١٤٠٤هـ) : التبيان في آداب حملة القرآن ، تحقيق عبدالعزيز عز الدين السيروان، الطبعة الأولى ، بيروت : دار النفائس .

(٦٨) وزارة المعارف ، (١٣٩٩ هـ) : مؤتمر التربية الدولي الخامس والثلاثين ، التغير في دور المعلم ، التوثيق التربوي ، العدد ١٧ ، ١٨ ، الرياض ، مجلة نصف سنوية يصدرها مركز المعلومات الاحصائية والتوثيق التربوي .

(٦٩) يالجن ، مقداد ، (١٤٠٦ هـ) : جوانب التربية الاسلامية الأساسية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر .